رواية

حارة الوسواس 2

نبوءة ابن هرز

إبراهيم فؤاد

ساحر الكتب

لتحويلك إلى الجروب أضغط هنا

لتحويلك إلى الموقع أضغط هنا

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب

او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

قيامة بن محرز

الكتاب : قيامة بن محرز
الكاتب : إبراهيم فؤاد
تصميم الغلاف : إسلام أبو دومة
تدقيق لغوي : إسراء جمال
الإخراج الداخلي : منة الله المصري
رقم الإيداع : ٢٠١٩\٢٧٧٧٠
الطبعة : الأولى

٤ شارع كمال حسين متفرع من ومبي الهرم
ت : ٠١٠٠٥٧١٩٠٤٢ - ٠٢٣٥٩١٨١٨
Beyond.dbh@gmail.com
جميع الحقوق الطبع والتوزيع محفوظة للناشر

قيامة بن محرز

(حارة الوسواس ٢)

إبراهيم فؤاد

رواية

مقدمة بسيطة

اعذروني في المقدمة حابب أتكلم عامية، في البداية العمل ده يعتبر الجزء الثاني من روايتي حارة الوسواس ومن الأفضل قبل قراءته إنك تقرأ حارة الوسواس علشان تقدر تفهم الأحداث وتربطها مع بعض، لو محبتش تقرأ ممكن تخش على طول لقيامة ابن محرز، بطلب منكم عدم قراءة أي من الرموز أو الطلاسم الموجودة داخل العمل، وتاني حاجة وجب التنبيه إن العمل يحتوي على بعض من الآيات القرآنية يعني خلي بالك من الكتاب وحاول الحفاظ عليه، كده أكون برأت نفسي من ذنبي قدام ربنا، يا رب العمل يعجبكم.

عودة الأحداث

«مَن يُطبق القَانون يَخشَاه» أتذكَّر تلك الجملة التي جذبت انتباهي منذ خمس سنوات عندما كنت أشاهد أستاذ القانون الأستاذ مختار وجدي عبر أحد البرامج التليفزيونية وهو يتحدَّث عن أسس تطبيق القانون العادل بين مجتمع البشر، حينها كنتُ جالسًا بمفردي في غرفتي والظَّلام ينيرها بكآبته، ذلك الحين لم أعلم مدى ثِقل هذه الجملة إلا عندما جاء بي صديقي الدكتور شوقي ليوكلني بقضيةٍ شهيرة حدثت منذ فترة تسمى (واقعة الوسواس) وتحكي عن شابٍ مريضٍ بالوسواس القهري اتُّهم بقتل أصدقائه بعدما دفعه مرضه لقتلهم، ما أعجبني في القضية ليس شهرتها كقضية رأيٍ عام بل تقويمها لعقوبة الإعدام، بمعنى أنَّ كل الأدلة أثبتت القتلَ العمد مع سبقِ الإصرار والترصد من قبل حُسام لكن كان للوسْواس رأيٌ آخر، لنْ أطيل كثيرًا عليكم لكن اعلموا جيدًا أنَّ الوسواس يتعمَّق بيننا وسيطَر على عقولِ البشرية، وسيكونُ السَّبب في نهايَة هذا العَالم السعيد قريبًا.

إبراهيم فهمي

المحام

يجلس الدكتور شوقي في عيادته الجديدة في منطقة الزمالك يشاهد التلفاز وينتظر من يطلُّ عليه الليلة من المرضى النفسيين الذين يتعالجون تحت إشرافه حتى دخلت عليه الممرضة، فتحت باب الغرفة وبصوت امتلأ بالرقة قالت:

- دكتور شوقي، أستاذ إبراهيم المحامي قاعد منتظر برا من خمس دقايق.

- انتفَض شوقي من مجلسه وقال: دخليه حالًا، مستنية إيه!

خرجت الممرضة مسرعةً ثمَّ عادت مرةً أخرى يسيرُ بجوارها إبراهيم ببدلته الكاملة، ونظر لشوقي الذي احتضنه بابتسامته المعتادة.

- شوقي: إبراهيم بيه عندنا يا هلا يادي النور، عاش من شافك.

- إبراهيم ضاحكا: إيه يا شوقي، أنت فاكرني مريض عندك بلاش الدخلة دي.

شوقي بضحك هيستيري: كان نفسي يا سيادة المستشار، بس نعمل إيه دايمًا رجل القانون نفسيته تمام.

- إبراهيم: قلت أعدي عليك، واحشنا كتير.

- شوقي: والله أنت أكتر، قول لي مفيش أخبار عن حسام ولا لسه مختفي؟

- إبراهيم: لسه مفيش جديد، جاري البحث عن جثة أو يشاء القدر ويبقى حي.

- شوقي: بس غريبة، مش داخل عليا حوار إنه اختفى في يوم وليلة، بعد تحويله لمستشفى الأمراض العقلية بيومين.

- إبراهيم: ولا أنا كمان بس متابع القضية كويس وليا رجالتي، فعلا مختفي ومحدش يعرف عنه أي حاجة.

- شوقي: لعله خير ونسمع أخبار حلوة.

- إبراهيم: لسه متوصلتش لشيء جديد في أبحاثك عن حارة الوسواس؟!

- شوقي: كنت خلاص قربت بس الورق اللي اختفى من الخزنة رجعني لنقطة الصفر.

- إبراهيم: طب محاولتش ليه تكلم شلبي وتاخد منه الورق تاني؟

- شوقي: للأسف كان ميملكش غير نسخة واحدة بس، وخلاص هو مات بعد أسبوع من علمه موت ابنه صادق، بس أنا ورا حارة الوسواس لغاية ما أثبت صحة وجودها لكل الناس اللي افتكرني مجنون.

- إبراهيم: هو فعلًا الحارة اللي اتكلم عليها حسام موجودة؟

شوقي يخرج زفيرًا: أيوه، قبل شلبي ما يموت طلب يشوفني، لما روحت اداني الورق اللي يثبت كلام حسام فقريته وعرفت منه تاريخ حارة الوسواس، وإن مراته فاطمة هي الوحيدة اللي دخلتها، روحت البيت حطيته في الخزنة بفتح تاني يوم ملقتهوش.

- إبراهيم مستغربًا: يعنى كده حسام صح؟!

- شوقي مؤكدا: حسام صح بس أنا كان لازم أطلعه مجنون عشان أخرج من القضية، بس ده ميمنعش إن فعلًا حسام مريض بالوسواس القهري.

- إبراهيم: طب أنت مش فاكر اللي قريته في الورق عن الحارة، ليه متنشروش في كتاب كرواية.

- شوقي: تصدق فكرة حلوة، ازاي مجاتش على بالي، فعلًا هبدأ في التحضيرات من بكر.

- إبراهيم: عد الجمايل يا دكتور.

وضحك الاثنان وانتهى الحوار.

وراء كل مشرَّد قصة لم يعلمها غير عقله وقلبه سويًا مجتمعان في جسدٍ هلكت روحه من نظرات المجتمع، يتهمونه بالجنون ويخافون من شكله المريب الذي يستحوذ الشحم وقلة النظافة عليه، وشعره الكثيف المغطى بالغبار من نوم الشوارع، لا تكرهوا هؤلاء الأشخاص بل احنوا عليهم لأنهم ليسوا مشردين بل موسوسين.

يجلس حسام تحت الكوبري مشردًا بين طيات الليل، ونيسه ضوء المصابيح الصفراء والقمامة ورائحتها الكريهة وكلبه الذي يشبهُه كثيرًا في حياته بين رجليه يضمه من البرد القاسي، يمسكُ الورقة والقلم ويكتب ما يريد أن ينطقه لسانه، وفى لحظة انتفض مثل المجنون ووقف ينظر يمنة ويسرة ويحرك يده اليمنى ويفرك شعره الكثيف، وينكمش بجسده ويبدأ بالتحدث بصوت عال.

- أنا الشارد في الشوارع، أنا المجنون بينكم، حكمت علي بالمرض وبالقتل، بالخوف في سبيل إرضاء وسواسكم، عايز أقول لكم على حاجة كنت مخبيها عنكم، والله حارة الوسواس موجودة وأنا مش مجنون وشيزارا هتعذبكم وهتموتكم شخص شخص، كلكم كذابين وبتكدبوا على بعض عشان ترضوه يوسوس ليكم بالغلط عشان خايفين تموتوا.

خيانة وقتل وقلة ضمير، فين الإنسانية؟!

أنا مش ملحد يا شيزارا وهفضل أحاربك لحد ما أموت، غرام أول حد أحبه وميخافش مني، رحتي فين يا غرام؟ مستنيكي تخرجي، مخرجتيش ليه؟!

ثمَّ بدأ في البكاء بشدة وجلس على ركبتيه، ورفع يديه الاثنتين وصرخ قائِلًا:

-أنا خايف عليكم، محدش يسمع كلامه لأن قواعده مش هتموتكم بالعكس وسوسته هي اللي بتموت، خافوا واعرفوا إن فيه ربنا وبيحاسب كل شخص فيكم، دا بقى قواعده حقيقة بس هو رحيم بيكم لأنه الرحمن الرحيم.

رجع زاحفًا للخلف لتحت الكوبري مرة أخرى وضمَّ رجليه إلى بعضهما،

وانكمش من برد الليل، كان يرتعش ويردد في سره:

- أنا مش مجنون، حارة الوسواس موجودة، أنا مش مجنون حارة الوسواس موجودة.

فجأة سمع صراخًا قادمًا من بعيد فانتفض جسده وبعينين جاحظتين، أصغى بأذنيه ليسمع مصدر الصوت حتَّى تأكد أنه قادم على بعد عشرين مترًا من يمينه، يسير ببطء ويحتمي بكلبه الذي صاح مثل الذئاب بعد سماع الصراخ، يسير حسام ويلتفت برأسه ليرى جوانب الطريق المظلم ليس خوفًا من الظلام بل ليتحسس مصدر الصراخ الذي مازال مستمرًا بشدة، اقترب فوجد سيارة تحت الكوبري والصوت قادمٌ من جانبها، فجرى مسرعًا ناحيتها بعد أن تأكد من صوتِ امرأةٍ تستغيث، وصل عند السيارة فوجد رجلًا يعتدي جنسيًا على بنت وقد وصلت لمرحلة الاستسلام، وقف حسام يترقَّب وعيناه ترتجفان قلقًا، ورجع بذاكرته لما فعله في حارة الوسواس واعتداءه على المرأة فابتعد عن مكانِ الحادث وأمسك رأسه من شدة أصوات الوسواس التي تأكل خلايا عقلة، حتَّى سمع صوت صراخ البنت تستغيث «الحقني، الحقني» فاندفع حسام ناحيتها وضرب الرجل بقدمه وأبعده عنها، رفع الرجل رأسه وشاهد منظر حسام المريب فزحف على يديه وبدأ في الركض بجنون، ذهب حسام ناحية البنت وخلع ثيابه المتعفنة وغطَّى جسدها العاري لأنها كانت شبة عارية بعد تمزيق ملابسها من قِبل الرجل، أسندها حتى وصلا إلى مكان عيشته فوضعها على الأرض غائبةً عن الوعي، وهو يجلس بجوارها محدقًا بعينه وجسده يرتعش من قسوة البرد.

في الساعة السادسة صباحًا مع شروق الشمس التي تعطي التصريح لأشعتها للسيطرة على بقاع الأرض كان حسام نائمًا في حضن كلبه يُدفئان بعضهما من برد القاهرة وبجانبهما الفتاة التي بدأت في الاستيقاظ، فتحت عينيها ببطء وبدت حالة من عدم الاتزان عليها، أزالت الغطاء بسبب رائحته الكريهة فوجدت نفها شبة عارية، أمسكتة وغطَّت جسدها وهي تبكي وتصرخ بصوت عال، استيقظ

حسام من شدة الصراخ والبكاء ومعه الكلب فنظرت إليه الفتاة وهي في حالة فزع:

- حصل لي إيه؟! احكيلي حصل إيه، أرجوك.

نظر لها حسام والتعجب من حديثها بادٍ عليه، بُهت عقله ولم يرد عليها فذهبت ناحيته وأمسكت بملابسه الممزقة والدموع تسيل وتقو: أرجوك قول حصل لي إيه.

- حسام بصوت منخفض: محصلش ليكي حاجة، أنا لحقتك.

الفتاة تأخذ أنفاس الرَّاحة وتقول:

- الحمد لله يارب، منه لله، حاول يؤذيني، ربنا ينتقم منه في إخواته.

- حسام متمتمًا: الحمد لله.

- الفتاة بتعجب: أنت شكلك عامل ليه كده؟

- حسام بغضب: كملي كلامك وقولي إني مجنون، وشكلي يخوف، وخافي مني.

- الفتاة تنظر لحسام وتنفى حديثه: لا مش هقول كده على حد أنقذني من الضياع.

حسام لم يرد فتحاول الفتاة أن تصلح ما أفسدته بضحكةٍ تزين وجهها وتقول:

- على فكرة أنت شكلك عادى، أعرفك بنفسي أنا اسمي غرام.

أدهشت حسام الصدمة ولم يصدق ما تسمعه أذنيه فقال:

- انتي خرجتي يا غرام من حارة الوسواس؟!

الفتاة تنظر وتهز رأسها تعبيرًا عن الاستِغراب من سماع حارة الوسواس وبصوت يملئه الاستغراب قالت:

- أنا مخرجتش من حتة، ده اسم الدلع بتاعي في الأساس بس أنا اسمي الحقيقي فيروز.

- حسام مترجيًا: متقوليش كده، انتي اسمك غرام، متكدبيش عليا أنا ما صدقت لقيتك.

- فيروز ضاحكة: والله دي الحقيقة، أنا مش فاهمة أنت بتتكلم عن إيه.

حسام لم يرد ودمعه ينزل من عينيه ووضع يده على رأسه مخبأً جرحه الذي تعمَّقت في جذور قلبه من يوم الخروج من الحارة وتركه لغرام.

- اقتربت منه فيروز وقالت: أنت بتبكي ليه؟ أنا زعلتك في شيء؟ طب ممكن تيجي معايا البيت نكَمل كلامنا هناك.

- الدهشة سيطرت على حسام فابتعد عنها وقال: لا مش ممكن، اتفضلي امشي وسيبيني.

- فيروز بصوت منخفض: أنا نفسي أساعدك زي ما ساعدتني، بعد إذنك ممكن تيجي معايا؟!

حسام نظر لها وتذكَّر غرام، عادت الذكريات للمرور في عقلة وقلبه اللذان لم ينسيا الفتاة التي أحبها ومازال يعشق تفاصيلها، وقال بصوتٍ يحمل الحنين:

- هاجي معاكي.

جمع حسام متعلقاته الشخصية من مفرش وكارتونة مربعة مغلقة بحرصٍ شديد، نظر إلى كلبه الذي تغيرت ملامحه وصارَ ينبحُ بكل قوة كأنه يوجه رسالة له (لا تتركني بمفردي فلن تجد من يُخلص لك مثلي)، وسارَ حسام مع فيروز التي انتابتها الفرحة بعد موافقة حسام بالمجيء معها.

جَلس الدكتور شوقي على مكتبه في مستشفى الأمراض النفسية التي يتولى إدارة أمورها مؤقتًا في ظل مرض الدكتور وحيد مدير المستشفى، ينظر للسقف ويفكرُ في اقتراح إبراهيم المحامي بنشر قصة حارة الوسواس في كتاب، ويحدث نفسه:

- أنا لو نشرت كل حاجة قريتها في الرواية أبقى كده بوافق حسام على رأيه، يبقى هو مش مجنون وممكن ينعدم على قتل أصحابه، ولو ما نشرت هضيع من إيدي فرصة ذهبية من النجاح.

تدخل الوسواس في طريقِ سير تفكيره: ياعم انشر، أصلًا حسام مختفي والله أعلم ممكن يكون مات، فدي فرصة متتعوضش.

أحس شوقي أنَّ هناك شيئًا ما يحدثه في عقله فانتفض ووقف، دفع الكرسي بعيدًا برجله ونظر بخوف، لم يجد أحدًا سواه في الغرفة، قال بشفتيه وبصوتٍ منخفض: أعوذُ بالله من الشيطانِ الرجيم، كنت حاسس إن فيه حد بيكلمني، كتر التفكير في الموضوع شكله هيجنني، لازم أهدى وآخد راحة.

- قطع حديثه معَ نفسه صوتَ طرق الباب حتى قال شوقي: اتفضل خش.

دخل شاب في الثلاثينات، أبيض الوجه والوسامة بادية عليه، طويل القامة ويدعى دكتور كريم هنداوي، هو أحد الأطبَّاء الشباب في المستشفى ويتَّخذ شوقي قدوةً له في عمله.

- قالَ شوقي مبتسمًا: تعالى يا كريم، أجازة سعيدة.

- كريم دخل ليحتضن شوقي وقال وهو يضحك: والله يا ريس ولا حسيت بيها، بس عملت فيها حاجة واحدة محتاج أقول لك عليها.

- شوقي بلهفة: اقعد يا حبيبي يلا قول لي.

- كريم: الصراحة أنا أخدت الإجازة دي مخصوص عشان خاطر أعمل حاجة واحدة؛ أعرف ما وراء حارة الوسواس.

قطع الحوار استغرابَ شوقي الذي ظهر على ملامحه، وأكمل كريم: أيوه يا دكتور متستغربش، والحمد لله قدرت أوصل لأسرار حضرتك متعرفهاش وتساعدنا كتير في إظهار الحقيقة للناس.

- قاطعه شوقي: بس أنا حكيت ليك السر ده عشان لو متت تكمل مكاني، مش وأنا عايش تبقى بدأت البحث فيه ووصلت لأسرار كمان.

- تغيَّرت ملامح كريم من رد فعل شوقي وبصوت مرتبك قال: أولًا أنا آسف لأني مرجعتش ليك قبل ما أعمل كده، بس حضرتك علمتني إن مفيش بينا حوائط عالية وأسرار خفية عشان كده أول ما وصلت لحاجه جيت أحكي لك، اسمع مني وخد أي قرار بعد ما أمشي، وأنا راضي بأي رد فعل.

- شوقي وضع يده أسفل رأسه وضغط عليها وقال: اتفضل.

- أخرج كريم زفيرًا وقال: أولًا: بحثت على مواقع البحث الشهيرة باسم حارة الوسواس ولم أجد أي معلومة عنها، حسيت وقتها بحالة من اليأس إن عمري ما هوصل لجديد في الحارة، غير اللي أنت حكيته ليا من العيشة فيها والكلام اللي أعرفه، في يوم كنت قاعد بالصدفة بقرأ كتاب للساحر الشهير مار شيم جوزيف، الكاتب حكى فيه عن أهم إنجازاته بالنسبة للسحر والدول اللي راحها من عام ١٩٢٠ لغاية ما توفي عام١٩٥٠، زي ما حضرتك عارف إني بحب نوعية الكتب دي وبقدر أربط السحر بالأمراض النفسية ودي رسالة الدكتوراة

اللي بحضر ليها، المهم فيه جزء من الكتاب اتكلم فيه السَّاحر عن مصر و قرية في إحدى قرى الصعيد اكتشف فيها بئر غريب بيسكنه الجن وبيقول إنهم كانوا بيأذوا أهل القرية دي، ودايمًا البئر ده بيبقى عليه غمامة وبيظهر وبيختفي في نفس مواعيد اختفاء حارة الوسواس، قدر الساحر ده بالاستعانة مع مجموعة من السَّحرة بالسيطرة على البئر ومحاربة الجن، بس فيه حاجه ذكرها في آخر سطر وهي إن سحر الجن للوسوسة مش بس بيأذي أي شخص غير بالوسوسة لأن نوعيته مش بتتحرق لو بألف سحر، إيه رأيك يادكتور؟

- شوقي والدهشة تحتلُّ ملامِحه: فعلًا كان من ضمن الكلام اللي مكتوب في الورق إن لو عايز تخرج من الحارة يبقى تكتشف مكان البئر، ومن خلاله تخرج من الحارة.

- وقف كريم وسارَ ناحية مكتبة الكتب، وضع يده اليمنى على رأسه كنوعٍ من التَّفكير وبصوتٍ تملأه الحيرة: طب وأنت شايف نعمل إيه يا دكتور؟

لم يرد عليه شوقي فكرَّر كريم سؤاله مرة أخرى ولكن دون رد، أدار جسده ونظر إلى شوقي فلم يجده على كرسي مكتبه، رفع عينيه ببطء فوجد شوقي مصلوبًا من يديه ورجليه على الحائط والدماء تسيل منه، تملَّك الخوفُ كريم وأصبَح غير قادرٍ على النُّطق ويريدُ أن يصيح حتى يُنجد، يسير والرعشة في جسده ناحية شوقي حتى يساعده، وفجأة أحسَّ بأنَّ هناكَ أنفاسًا في الغرفة معهما فرجع عدَّة خطواتٍ للخلف خوفًا واصطدم بالمكتب، وقع على ظهره فاستعان بيديه للرجوع للخلف حتَّى وصلَ لبابِ الخروج وحاولَ أن يفتحه لكنَّه لم يقدر من شدة إحكامِه.

- أنفاسه متخبطة ويصرُخ بأعلى صوت: افتحوا الباب، حد يلحقني. شَعرَ أنَّ هُناكَ شخصًا يقف خلفه أثناء مناداته لمن في الخارج فأدارَ رأسه للخلف بحذر، ظهر شوقي محدقًا بعينيه أمامه والدماء على وجهِه وجسده، انتفض كريم من مكانه وصرخ: الحقوني، الحقوني.

(عزبة عشماوي)

الساعة الثانية عشر ظهرًا وحسام يسير بجانب فيروز في الشارع، الناس ينظرون إليه بحالةٍ من الخرف والاشمئزاز ويبتعدون عن رائِحته وشكله المخيف، وفى ذاتِ الوقت يستغرِبون فيروز التي تسيرُ بجواره وتتحدَّثُ معه، عينا حُسام تتحركَان يمينًا وشمالًا بسرعةٍ مهولة ينظرُ للنَّاس والخوف بقلبه، وقفت بعد ملاحظتها لذلِك وأمسكَت بيدِ حُسام وتخطَّت جوانب الطريق للصف الآخر، دخلت ممرًا ضيقًا حوائطه من الطُّوب الأثري القديم، يسيران والاستغراب بادٍ على حسام من منظرِ الممرِ المُخيف الذي تجلسُ الكلابُ الضَّالة فيه، استقرَّت أقدامُهما عند آخر الممر ثم اتجها نحوَ اليسار في ممرٍ آخر أقلَّ ضيقًا ممَّا دَفع حُسام للسَّير منحني الرَّأس، أنفاسه تضيقُ من شدَّة السَّير بهذه الطريقةِ المتعبة، لاحظَت فيروز وحاولت أن تسيرَ بسرعة لكي يصلوا لمبتغاها، ضوءُ النَّهار يظهرُ وعلى بعد خمسةِ أمتار ينتهي الممر، دَخل حُسام إلى منطقةِ الضَّوء ورَفع رأسَه فوَجد مجموعةً من الأشخاص الذين يشبهونه كثيرًا بلحيتهم الكثيفة وشكلهم المخيف حتَّى نطق حسام وقال:

- احنا فين؟

- فيروز: أنت في منطقتي يا حسام.

- حسام: أيوه يعنى اسمها إيه؟!

- فيروز: دي اسمها (عزبة عشماوي).

- حسام: بس فيه حاجة غريبة، حاسس معظم الناس شبهي أوي.

- فيروز ضاحكة: عشان كده أنا مستغربتِش شكلك، لأن كل الناس اللي هنا مشرَّدين زي حالاتك وده المكان اللي عايشين فيه، بس مش لوحدهم لأن فيه كمان أهل العزبة الأساسيين اللي أنا منهم عايشين معاهم، يلا بس نوصل بيتنا بعد كده نتكلم.

وصلت فيروز إلى منزلها الذي يتكوَّنُ من دورٍ أرضي فقط مبنيٍ على الأرض وتسكن بجوانبه القمامة والرائحة الكريهة، وما زالت عينا حسام تُمشطان المكان الذي لم ير مثله من قبل، وظهر تعجبه من أشكالِ تكوينِ منازل العزبة على ملامحِه حيثُ كانت جوانبها تحتوي على جبالٍ صخرية مبني عليها منازل يسكُنها أهل العزبة منذ الأزل القديم، وفى المنتصف طريقٌ طولُه أكثرُ من أربعين مترًا، يُغطيه الترابُ الناعم، النساءُ أمام منازلهن يغسلن الصُّحون من خلال صنبور مياه وحيد أمام كل منزل، واضحٌ عليهنَّ الفقر من خلال ملابسهن المُهترِئة، يسيرُ حُسام ويلتَفتُ بجسدِه والصمت يفجعه، والرَّاحة تسكنُ قلبَه لأنَّه أحسَّ أنَّه ليس المشرد الوحيد بل هناك الكثير من المشردين يعيشون بلا مأوى، دخل حُسَام المنزلَ الصَّغير معَ فيروز التي تفتحُ لمبة الجاز وتجلس على الأرض.

- حسام: بجد أنا عمري ما شوفت مكان أغرب من حارة الوسواس، بس لمَّا جيت العزبة دي شوفت.

- فيروز ضاحكة: متستغربش، دي حياتنا من سنين بعيدة ومحدش يعرف عن العزبة دي أي حاجة؛ عشان كده عايشين على مية من الأرض، وبدون كهرباء، والأكل اللي يجُوع يقلب عيشه بره العزبة.

- حسام باستغراب: أنا كنت فاكر إنِّي الوحيد اللي شكلي كده مخيف، لما جيت عرفت إن نَاس كتير زيي وممكن أكتر.

- فيروز: فعلًا، عشان كده أصَريت تيجي معايا أحسن ما الناس بره تاكل فيك، أنت مشوفتش كانوا بيبصوا عليك ازاي واحنا ماشين، اللي خايف منك، واللي مش طايق ريحتك، الناس بره وحوش بياكلوا الضعيف.

- حسام: فعلًا، سنتين شفت فيهم حاجات كتير، حارة الوسواس كانت أرحم.

- فيروز: صحيح، إيه حارة الوسواس دي؟! كل شوية تجيب سيرتها، ومين غرام؟!

- حسام جَلس على الأرض وأسند ظهره إلى الحائط وقال: حارة الوسواس هي الشيطان اللي خلق على هيئة بشر، حكمها الجن ومجموعة من الملحدين قدروا يسخَّروا الجن لحسابهم إنه يوسوس للبشر بما حرم الله، واللي مينفذش يموت، أنا دخلتها عافرت فيها وابن عمي مات قدامي ومعرفتش أعمل له حاجة لأن شيزارا قتلته، غرام سيبتها جوه ومعرفتش أخرجها بس متأكد إن في يوم هأقابلها، خرجت من الحارة لقيت نفسي في سجن ولابس بدلة زرقة وبيتحكم عليا بالإعدام ومتهَّم بقتل صحابي والسبب في موت ابن عمى اللي هو مات قدامى في الحارة، قعدوا يحقَّقوا بس أنا مش فاهم حاجة، مين دول وإيه اللي جابني هنا لغاية يوم جلسة الحكم لمَّا قدِر الدكتور شوقي يثبت ليهم إني مريض بالوسواس القهري وبدل ما يعدموني حولوني على مستشفى الأمراض العقلية، لغاية ما في يوم قامت حريقة في الغرفة اللي حاجزينني فيها ووقتها حسيت بحد معايا في الأوضة بيولع فيها، أنفاسه كانت ملازماني وشفت خياله في الحيطة؛ جسد وعليه قرون صغيرة وعريَان من غير هدوم، قدرت إني أهرب لغاية ما انتي شايفاني دلوقتي.

- قالت فيروز والغرابة تنطُق على ملامحها: قصة غريبة أوي بجد، وازاي قادر تعيش بعد كل اللي حصل لك؟!

- حسام بصوت حزين: طول عمري عايش وحيد ومريض الاتنين مع بعض، الأصعب لما تعيش تحارب في وسواسك، بس أنا عمري ما هسيب حقي من شيزارا.

- فيروز تقاطعه بضحكة: ياعم كبَّر دماغك، المهم أجيب لك مية تستحمى وتغير هدومك وتظبط نفسك وأشوف لك هدوم حلوة.

انتهت من جملتها، وذهبت ناحية الكرتونة الخاصة بحسام الذي تحوَّل فجأة لذئبٍ مفترس وأمسك يدها وبصوت مخيف قال: متقربيش ليها تاني، متفقين.

الخوف سيطرَ على فيروز التي نزعت يده من عليها، وتراجعت خطوتين للخلف وذهبت للخارج.

(سر مقتل شوقي ١)

صوت الأمطار يزداد مع الوقت ومعه عقارب الساعة التاسعة تدقُّ ليلًا، الشوارع غارقةٌ في مياه الأمطار التي زادت عن أربعِ ساعاتٍ متواصلة دون انقطاع، الإضاءة الخفيفة على جوانب المستشفى الذي يعالج بها الدكتور كريم بعد إصابته بصدمة عصبية حادة، الهدوء يسيطر على المكان ولا يوجد سوى صوت حذاء المقدم حسين بركات يسيرُ بين أورقة المشفى يبحث عن أيِّ ممرض يدلُّه على غرفة الدكتور كريم، وبعد مرور خمس دقائق من البحث وجَد غرفةً يخرج منها صوت فتقدَّم بخطواتٍ حذرة إلى بابِ الغرفة وبصوت منخفض قال: فيه حد هنا؟!

- وجد ممرضًا نائمًا على كرسي مُغيبًا عن العالم فاقترب منه حسين حتى يوقظه، انتفضَ الممرض من كرسِيه يفرُكُ عينيه وبصوت مضطرب أجاب: خير يا باشا فيه إيه؟!

- حسين: أنا المقدم حسين بركات من المباحث، كنت بدور على أوضة الدكتور كريم هنداوي.

- الممرض بخوف: أيوه يا باشا، دكتور كريم اللي جه من يومين، تعالى معايا وأنا أقول لك.

يسير الاثنان مع بعضهما وينظر حسين بعينه التي ترصد جوانب المشفى كأنَّه يمشط المكان من متفجرات على وشك الانفجار، صعدا إلى الدور الأول وظلا يسيران حتى وصلا للغرفة رقم خمسين فدخلا سويًا إليها، حسام نائِمٌ على سريره مثل الميت، وضِعت له مجموعة من الأجهزة التنفسية.

- الممرض: بعد إذنك يا باشا أروح أنادى للدكتور.

انصرف الممرض وترك حسين بمفرده في الغرفة، جلس على الكرسي المرافق لكريم ونظرَ له رافعًا حاجبه الأيمن، فجأة أغلِق باب الغرفة بقوة فوقف حسين عن كرسيه ينظرُ إلى الباب ويحاول أن يفتحه لكنَّه لم يستطيع، دقَّات قلبه تتسارع ويستدير ليذهبَ ناحية الشباك فوجد كريم جالسًا على السَّرير ينظر له بعينين جاحظتين ملؤهما الشر، ظلَّ عقل حسين غير مدركٍ لما حدث في الغرفة فثبت في مكانه ووضعَ يده على سلاحه الناري.

- حسين: غزيك يا دكتور كريم.

لم يرد عليه كريم الذي مازال محدقًا له.

- حسين: أنت خايف ترد عليا ولا إيه؟

نور الغرفة انطفأ والظَّلام يسيطر عليها، الخوف ظاهرٌ على حسين الذي يتشبث بسلاحه الناري ويلفُّ في مكانه، عادَت الإضاءة فلم يجِد كريم على سريره، الصدمة على ملامحه وهو يرجع للخلف وظهره للباب، لم يستطيع أن يأخذ أنفاسه بصورةٍ طبيعية فقد ظهر كريم أمامه وعيناه متحولتَان لسوادٍ دامس، حرَّك حسين يده التي بها السلاح فلم يقدر، أمسكه كريم من أسفلِ رقبته ورفعه وبصوت شيطاني قال:

- ابعد عني، متحاولش تقف في طريقي، أنا الوسواس، أنا الوسواس.

أصواتٌ متداخلة والجميع يتحدث بصوت عالٍ، المقدم حسين بركات ممدَّدٌ على السرير وبين مجموعة كبيرة من الممرضين والأطباء والمرضى، كُلهُم يتحدَّثون في صوتٍ واحد مستغربين ما حدث للمقدم والحالة التي كان عليها وقت ما دخلوا عليه غرفة الدكتور كريم، الإفاقة بدأت تتسلل لعينَي حسين، فتحهُما فوجدَ تشويشًا في رؤيته الطبيعية، حرَّك يده اليسرى فانَدفَع إليه أحد الممرضين يعطيه كوب الماء، شرب حسين وبدأ في الإفاقة بصورةٍ كاملة وأخذ أنفاسه بشيءٍ من الخوف وقال: بعد إذنكم، عايز تشخيص حالًا عن حالة الدكتور كريم.

لا أحد يرد عليه والجميعُ مستغرب حتَّى دخل طبيب في الأربعين من عمره يرتدى البالطو الأبيض، وابتسامة على ملامحه السمراء.

- الدكتور: بعد إذنكم يا دكاترة سيبونا لوحدنا أنا وسيادة المقدم، اتفضلوا.

خرج الجميع وحالةٌ من الهدوء غَزت الغرفة، ذهب الدُّكتور ناحيةَ حسين فأمسك يده اليُمنى يقيس نبضه، وبصوت هادئ نطَق:

حالتك اتحسنت أوي يا حسين بيه، معلش نسيت أعرفك بنفسي، أنا الدكتور وسيم مدكور متخصص الحالات العصبية والنفسية هنا في المستشفى، والدكتور المختص بحالة الدكتور كريم هنداوي.

- حسين: أهلا بيك يا دكتور وسيم، بعد إذنك ممكن تقرير وافي عن حالة دكتور كريم.

- وسيم بقليل من الاستغراب: الحقيقة مش عارف أقول لك ايه، بس كريم بيعاني من انهيار عصبي حاد وَصل لخلايا المخ، أصبح شبه مشلول مع اشتبَاه في غيبوبة بس مش دايمة، بمعنى ممكن ينام بالأسبوع ويفوق ساعة واحدة، هيفضل محطوط على الأجهزة لحين استقرار حالته، ومش مربوطة بمدة معينة.

- حسين: يعنى مش هنقدر نستجوبه في مقتل الدكتور شوقي اللي هو أساسًا متَّهم أول في قتله.

ظَهرت الصدمة على وجه وسيم، وقال بعصبية: لا، مستحيل كريم يعمل كده، شوقي الله يرحمه كان من أقرب الناس له، كان في منزلة أبوه، لا طبًعا مستحيل.

- حسين بصوت عالي: يعنى يكون مين اللي قتله يا دكتور، اتنين في نفس الأوضة، اتفتحت عليهم الأوضة والسكينة في ظهر شوقي وكريم ماسكه وبيعيط.

- وسيم بانفعال: ده مش دليل إدانة يا سيادة المقدم، ابحث كويس وأنت تعرف القاتل الحقيقي، وأكيد أنت فاهمني كويس.

- حسين باستغراب: قصدك إيه؟

- وسيم بسخرية: قصدي أنت عارفه كويس يا حسين بيه، مع السلامة.

انصرف وسيم وترك الحيرة تأكل رأس المقدم حسين حول لغز مقتل الدكتور شوقي.

(عزبةعشماوي٢)

الوقت يمر ولا أحد يحس به في العزبة فهم يعيشون من أجل شيءٍ واحد فقط هو الطعام ليُقوي أجسادهم فيستطيعوا استكمال حياتهم، أسبوع انتهى وحسام جالسٌ بين أورقه المنزل القديم يُطالِعُ كتبه ويقرأ بتركيز، فيروز تختفي طوال اليوم وترجِع قبل الساعة العاشرة والتعب يُشيب ملامحها.

حسام جالِسٌ على ضوء الشمعة يحمل كتيبًا مكتوب عليه (أحياء سفلى) يقرأ فيه بتركيزٍ شديد فيدق الباب ويتوقف حسام عن القراءة، يقف ويذهب ناحية الباب فيفتحه ليجد أمامه مجموعة من الرجال الذين يتَّضِحُ عليهم العَفن وقلة الاهتمام الشخصي، دخلوا على حسام باندفاع وأمسَكوه من يديه ووضعوا قطعةً من القماش على عينيه وخرجوا به إلى الشَّارِع.

أصوات ضجيج يسمعُها تجتاح أذنيه فيلتفت برأسه لكي يرى أي شيء لكنَّه لم يشاهد سوى غمامةٍ سوداء، أصوات الضجيج تتعالى وتدلُّ على كثيرٍ من الناس يتحدثون مع بعضهم، شمَّ رائحة غبار يخترق جيوبه الأنفية فحاول أن يحرك بجسده وصرخ: في إيه؟ انتوا مين حد يفهمني؟!

لم يرد عليه أحد ومازالت أصوات الضجيج تتحكَّم في خلايا سمعه، حتى سمع صوتًا رجوليًا خشنًا يقولُ بأعلى صوتِه:

- خلاص أنا جيت، محدش يتكلم وكله يسكت.

الصمت يسيطر على عزبة عشماوي، ويزيل أحد الأشخاص الغمامة من على عيني حسام فيفتحهُما بصورة بسيطة نسبيًا، يرفع رأسه فيرى فيروز مكبَّلة اليدين وجالسةً على ركبتيها ويقف بجانبها شخصٌ طويلَ القامة، بدين الجسد، والدُّهون تسيطر على ملامح جسمه، أسمر اللون بعينين واسعتين، يرتدى جاكيت أسود وبنطلون قماش أبيض، واضحةٌ عليه العفونة والشحوم أيضًا وبصوت يُنذِرُ بالشر قال: من يوم ما حكمت العزبة واحنا حطينا ليها قوانين محدش يخالفها عشان نقدر نعيش في سلام، تيجي بنت صغيرة تخالف قوانينها، ومش أول مرة تعملها وتدخَّل علينا غريب لا نعرف أصله ولا فصله وتخبيه عندها في البيت، وكمان تكدب علينا كل الفترة اللي فاتت، يبقى تستاهل إيه ردوا عليا؟!

أهل العزبة يصيحون بصوت عالٍ: الموت، الموت، الموت.

يكمل الرجل: حلو الكلام، الموت وده اللي اتفقنا عليه بس أنا مش هحكم عليها بالموت، أنا هسيبها تتعذب لغاية ما تتمنى الموت.

ذهب بخطوات بها ترقُّب لموقف حسام الذي يشاهد المشهد وغير مدرك بما يحدث، أمسك رأسَها وتمتم بشفتيه والجميع ينظر بترقب له، ثمَّ بدأت فيروز تحُكُّ جسدها، وفجأة وقعَت على الأرض بكامل جسدها وحالة من التشنجات تملكتها، حسام يحدق بعينيه ويحاول أن يقف ويندفع إليها فيمسكوه بكل قوة، فيروز تصرخ بشده وتتشنج حتى ثبتت فوضع قدمه عليها، وبصوت عالٍ قال: محدش بعد كده يقدر يخالف قوانين عزبة عشماوي، أنا كبيركم وحاميكم ولازم كل شخص يخاف على نفسه ومن رد فعلي تجاهه.

وظر بعينه اليُسرى ناحية حسام الذي مازال محدقًا بقوة تجاه الرجل وقال: أما أنت بقى فحسابي معاك بيني وبينك مش قدام حد، هاتوه معانا وحطوا البت دي جوا بيتها.

أمسكوا بفيروز وحملوها ووضعوها في منزلها، وضربوا حسام على رأسه حتَّى فقد الوعي وحملوه هو الآخر وساروا به.

(سِرّ مَقتلْ شَوقي٣)

بقسم شرطة الهرم يجلس حسين بركات في مكتبه نائمًا على أريكة الراحة التي يريح عليها جسَده بعد انتهاء يومه الذي يحمل الكثير من الصعاب، يدقُّ الباب فيدخل العسكري ويؤدي التحية وبصوت منخفض يقول: حسين بيه، أستاذ اسمه إبراهيم فهمي المحامي محتاج يقابل حضرتك.

أشَار حسين له بأن يُدخله ثمَّ وقف بكامل جسده وجلس على كرسيه، وبعدَها دخل إبراهيم يلقي السلام عليه.

- إبراهيم: أنا آسف إنِّي جاي لحضرتك متأخر بس حاجه ضروري لازم تعرفها.

- حسين مُستغربًا: تيجي في أي وقت يا إبراهيم بيه، حضرتك شرف لأي حد.

- إبراهيم مبتسمًا: متشكر يا حسين بيه، المهم هخش على طول في الموضوع، أنا زي ما أنت عارف من خلال وسائل الإعلام كنت مكلَّف بالقضية الشهيرة واقعة الوسواس.

- حسين يقاطعه: أكيد، وقدرت تنجح وتقنع الناس إن المتهم مريض بالوسواس أنت والدكتور شوقي ربنا يرحمه.

- إبراهيم يكمل: بالظبط ده اللي جاي عشانه، شوقي الله يرحمه كان فيه سرّ عنده محدش عارفه غيري أنا والدكتور كريم عن القضية دي وجه الوقت إنك تعرفه، عشان الموضوع أصبح أكبر مما تتصور.

- حسين قلِقًا: أنت كده بدأت تقلقني، خير؟

- إبراهيم بصوتٍ منخفض: حسام فعلًا كان مريض بالوسواس نتيجة لعنة أصابته من فترة ييجي سنة كده، وهي دخوله لحارة اسمها حارة الوسواس في الصعيد، بعد ما قدر يخرج من الحارة أصابته اللعنة دي بإنه يشك في أي حد حواليه ويتهيأ ليه إن الشخص ده بيضحك عليه وعايز يئذيه، عشان كده قتل أصدقاؤه.

- حسين مستغربًا: حارة الوسواس!

أول مرة اسمع عن الاسم ده، وإيه اللي دخَّل الحارة دي في قصتنا.

- إبراهيم يقاطعه: هي الأساس؛ شوقي الوحيد اللي كان عارف قصة الحارة والعيشة فيها ودا من خلال العم حسام عم شلبي اللي كان يملك ورق يثبت وجود الحارة، والورق ده اختفى من عند شوقي وبعدها شلبي مات، كنت من فترة عند شوقي قبل ما يموت وكان بيفكر ينشر قصة الحارة في رواية وبعدها للأسف مات.

- حسين وهو يأخذ شهيقًا: أنا بدأت أتوه منك يا متر.

- إبراهيم ضاحكًا: اللي جاي عشانه إني بقول لك كريم برئ من دم شوقي واللي قتل شوقي هو الوسواس بعد ما عِرف إن شوقي عايز يفضح أمره، وبالمرَّة يتخلص من كريم اللي كان فعلًا بدأ يوصل لأسرار محدش قدر يوصل لها عن الوسواس المَوتي.

- حسين يقاطعه: طب أنا كرجل تحقيق إيه اللي يثبت لي صحة كلامك؟

- إبراهيم مبتسمًا: للأسف مفيش أي دليل معايا، بس كريم كلمني قبل يموت شوقي بيوم وقال لي إنه وصل لأسرار جديدة عن حارة الوسواس في كتاب لساحر شهير، وعرف من خلال الكتاب إن الساحر ده قدر يسخَّر الجن اللي كان في ألبير للوسوسة الموتية.

- حسين ضاحكًا: ولله أنا تهت منك.

- ليُخرج إبرَاهيم فلاشة من جيب بدلته ويعطيها لحسين وهو يقول: اتفضل يا حسين بيه، دي فلاشه فيها كل حاجه عايز أفهمها ليك، والمطلوب منك، وتساعدنا ازاي لأن الوسواس والجن ده بدَأ يسيطر على كل حاجة ودا اللي هتفهمه.

ترك إبراهيم حسين في حيرةٍ غامضة يُمسِك الفلاشة ويفكر فيما سيحدث، وغادر المكتب في حالةٍ من السكون.

البداية لم تكن متوقعة بالنسبة لحسين الذي يشاهد شاشة اللاب توب الخاص به في منزله ويقرأ ملف «word» والدَّهشة على ملامحه، لم يصدق تخاريف تلك الفلاش، الصدمة كادت توقف قلب رجل المباحث عندما قرأ مجموعةً من الرموز المكتوبة بطريقة فرعونية؛ فقد أحسَّ وقتها أنَّ جسده يسكُنه شخصٌ آخر والسواد تملَّك عينيه لمدة دقيقة حتَّى انتفض والعرق على جبينه وحدث نفسه:

- الموضوع فعلًا كبير، الحارة دي غريبة، وازاي واحد زي حسام قدر يخرج منها، والجن اللي سخره الساحر الأجنبي ده للوسوسة الموتية ازاي قدر مجموعة من الملحدين يسيطروا عليه؟!

لو افتكر إيه حصل لي لما رحت عند دكتور كريم، يا رب أنا كده لازم أبدأ أبحث عن حسام لأن هو اللي عنده كل الأسرار أو كريم يفوق حتى عشان نقدر نستجوبه، الحرب فعلًا شكلها بدأت مع الوسواس.

(عزبة عشماوي٣)

مكبَّل اليدين والتعبُ يأكل جسده، شفتاه جفَّتا من قلة المياه، محاط بأربعة حوائط وباب حديدي ضخم؛ ذلك هو المكان الذي يتذكره بسجن الوسواس والبشر معًا، رغم تعوده على هذه الوحدة لكنَّ عقله يرفضها، يحاول أن يسند جسده لكن عدَم اتزانه يدفعُه بقوة للأرض، فيصرخ حسام بكل قوته: خرجوني من هنا، عايزين مني إيه؟! حد سامعني؟ انتوا يا بشر.

سمع بعدَ ذلِك خطوات قدم قادمة من الخارج فهدأ من سخطه ورفع رأسه ليرى رجلًا يحملُ سلاحًا آليًا، عنَّفه وأمسكه من يده اليمنى وبدأ في جرجرته على الأرض للخارج، حسام مستسلمٌ مثل الطفل الذي فقد أباه في الحرب، وقف الرَّجل يرفع حسام الذي بعينيه المرهقتين يجد ذلك الرجل الضخم يضحكُ بسخرية وجالسٌ بين رجال وأكل أصابِع الموز.

- الرجل بسخرية: كان نفسي أأكلك بس للأسف الموز خلص.

حسام ينظر إليه والغلُّ في ملامحه، يريد أن يفترسه لكنَّ التعب حليفه، وبصوتٍ منخفض سأل: أنت عايز مني إيه؟! وأنت مين؟!

- الرجل: آه معلش، نسيت أعرَّف الباشا أنا مين.

ثمَّ يقف ويحدق بعينيه للجميع ويلفُّ بين رجاله وحسام يتابعه بترقُّب، بعدَها يرفع الرجل كلتا يديه للسَّماء لكن ليس للدعاء بل للتحَول وبصوتٍ شيطاني متحول غليظ ينطِق: أنا عشماوي.

حسام تسيطِر الصدمة عليه، هو لم يصدق ما تراه عيناه من تحولات ذلك الرجل غريب الأطوار قوي البنية.

- ثمَّ يكمل الرجل والضحكات تتعالى: عرفت أنا مين ولا محتاج أعرَّفك تاني؟

ونظر لحسام بعينين متحولتين لسواد قاتم، الجميع يرجع خطواتٍ للخلف كأنَّهم يعلمون ما سيحدث بعد هذا التحول، اندفع الجميع للخارج وتركوا حسام مع عشماوي بمفردهما، حسام ينظر بترقب ومازال عشماوي بعينين سوداوين، وبدأ جسدُه يتحول للون الأسود أيضًا، ظلامٌ دامس يسيطر على المكان وأصواتٌ شيطانية تتعالى، حسام يلتفت بكامل جسده في مكانه ويحاول أن يفك يديه المربوطتين بجنزير حديد، لم ير شيئًا أمامه فجأة إلا نيران تنير بطريقة دائرية في المكان وحسام يتوسَّطها، يحاولُ بكل قوة أن يفك لعنة التقييد لكنَّه لم يقدر.

النيرانُ تشعل المكان والدخان يزدادُ بكثافة، لم يستطيع أن يأخُذ أنفاسه بصورة منتظمة ووقع على الأرض ينهارُ قفصه الصدري بسبب الدُّخان، فجأة يظهر عشماوي أمامه بجسدٍ مسوَد وعينين تحولتا من سوادٍ إلى احمرار، وبصوتٍ شيطاني يقول: أنا عشماوي، اللي يخرج عن طوعي يموت.

- حسام بثبات انفعالي: وأنا مش بخاف من الموت ولا بخاف منك، أنت فاكر اللي بتعمله ده بيخوفني؟

عشماوي يحاول أن يمسك حسام من رأسه لكنَّه أحس أن هناك حاجزًا جعله لا يستطيع أن يمرر يده منه، الاستغراب يحتلُّ عشماوي والنيران تهدأ، يرجع المكان لطبيعته وكذلِك جسد عشماوي، وحسام محدِّقٌ بعينيه بشدة.

- عشماوي بصوتٍ مرتبك: أنت مين؟!

-حسام مبتسمًا: أنا حسام، معلش نسيت أعرفك بنفسي.

عشماوي يفك أسرَ حسام.

- عشماوي: أنت الوحيد اللي قدرت تقف قدامي، ومقدرتش أقرَّب منك.

- حسام ضاحكًا: محدِّش يقدر يقرب مني، عشان أنا الوسواس.

- عشماوي والاستغراب ظاهرٌ عليه: أنا حاسس إني شوفتك قبل كده، مش أنت اللي كنت متهم بقتل صحابك في قضية واقعة الوسواس.

- حسام مبتسمًا: أيوه أنا.

- عشماوي ضاحكًا: والله كنت شاكك، بس استغربت ازاي جيت هنا وهما قالوا عليك إنك احتمال كبير ميت.

- حسام: الوسواس مش بيموت، الوسواس عايش جوا كل واحد فينا، يعني تخيل أنا عايش جواك دلوقتي.

- عشماوي باستغراب: نورت عزبة عشماوي.

يتركه عشماوي وحسام مازال محدقًا كأنَّه شخص آخر لا يعرفه غير الوسواس.

الظَّلام حل على عزبة عشماوي الذين يستوطنون منازلهم، الكلاب الضالة هي التي تتصارع مع بعضها من أجل السيطرة على أجواء الليل المرعبة ويتنافسون بينهم على الأعلى نباحًا، يسيرُ حسام ويمسك بيده شمعةً تنير له الطريق ليصل إلى منزل فيروز ليطمئن عليها، يتحسس الأرض مثل الكفيف وقدماه تتصارعان للوصول، وقف حسام عند منزل فيروز ودخل من الباب المفتوح الذي لم يُقفل منذ أزمة عشماوي، الشمعة في يده ينير بها الظلام حتى اصطدم بها وهي نائمة على الأرض، وضع الشمعة بجانبها وبدأ يُجلِسُها ويحاول أن يوقظها ولكن دون استجابة.

- وبصوت قلق قال: فيروز اصحي، أنا حسام، فيروز فوقي.

محاولات حسام لإفاقه فيروز لا تُجدي، وهو يفكر ماذا يفعل حتَّى أحس حسام أنَّ هناكَ ظلًا خلفه، استدَارَ ليرى فوجد طفلًا صغيرًا عمره سبع سنوات ويمسك بين يديه كرة صغيرة، نظر له حسام والاستغراب على ملامحه.

- حسام: أنت مين؟!

- الولد بجسدٍ مرتعش: أنا كرم.

- حسام: كرم مين؟ واهدى أنت بترتعش كده ليه؟

- الولد يبكي: أنا أخو فيروز وعمال أصحي فيها ومش راضية تصحى من الصبح، وأنا خايف.

- حسام باستغراب: فيروز ملهاش إخوات، أنا أول مرة أشوفك.

- كرم والرجفة تزداد بجسده: أنا كنت في.....

ويغشى عليه ويقع على الأرض، يرتبك حسام ويندفع إليه ويحمله ويضعه بجوار أخته.

- حسام مرتبكًا: هي ناقصة أنت كمان، يا رب أعمل إيه؟

وقف ينظر في المنزل لجسد كرم الذي يرتعش بقوة فخلع الجاكيت الخاص به وألبسه لكرم وظلَّ يفكر ماذا سيفعل في تلك الورطة الحمقاء، جالس بجوارهما يوقظُ بيديه الاثنين عقله الذي عجز عن التفكير، في هذه الأثناء بدَأ جسدُ كرم يهدأ من رعشته المميتة.

- بصوت عالٍ بجانب فيروز قال: فيروز اصحي، فيروز فوقي، ياربي أنا مش عارف أعمل إيه، سامحني يارب على اللي هعمله، أنا أوعدك مش هعمل كده تاني بس غصب عني.

ذهب ناحية الكرتونة وأتى بكتيب لونه أسود ومذهب من الجوانب، ثمَّ جاء بالشمعة وجلس بجوار فيروز وفتح الكتاب وبدأ يقرأ «يا غايق يا غايق، يا متن يا متن، ابعث تلك الروح، يا حتيم يا حتيمْ...»

ثمَّ أغمض عينيه وبدأَ بالقراءة بصوت عالٍ، الأرضُ من تحته تهتزُّ بشدة فيضع يده اليُسرى على جبينِ فيروز ويتمتِم بشفتيه بطريقة سريعة، وفجأة استفاقت فيرُوز من نوبتها والتقطَت أنفاسها بتعب وحدَّق بعينيها تجاهه، فجلس حسام وأقفل الكتاب وأخرج زفيرًا بقوة.

- بصوت متعب سألت: أنا حصل لي إيه؟!

- حسام بصوت منخفض: محصلش ليكي حاجة، كنتي تعبانه شوية، بس الحمدلله دلوقتي أحسن.

أثناء اعتدال فيروز من جلستها رأت كرم نائمًا بجوارها؛ فاندفعت إليه وهي ملهوفة وبجسدٍ متعب من غيبوبة عشماوي.

- فيروز بقلق: كرم ماله؟ هو نايم كده ليه؟! وإيه العرق ده؟!

حسام شرح لها ما حدث لأخيها فوقفت مسرعة تسيرُ مثل المجنونة تبحثُ عن علاج أخيها حتّى وجدته، أمسكت بكرم وفتحت فمه وجرَّعته الدَّواء، وتحسَّست جبينه باكية.

- فيروز وهي تبكي: أخويا تعبان، يا رب اشفيه أنا مليش غيرك، معلش يا حبيبي أنا اللي غلطانة مجتلكش آخدك من المستشفى.

- حسام يقاطعها: اهدي بس، هو تعبان ماله؟!

- فيروز: أخويا مريض سرطان في المخ، وبيجيله نوبات متكررة لو مخدش العلاج ممكن يموت، بياخد جلسات في المستشفى ورحت وديته وجيت بس مش عارفة ازاي تروح عليا نومة.

- حسام متسائِلًا: طب هو ازاي جه لوحده؟

- فيروز باكية: هو معاه ابن جارتنا أكيد جه معاها.

- حسام مبتسمًا: طب اهدي هو أخد العلاج يعني دلوقتي هيبقى كويس.

فيروز تحتضن أخيها وتبكي بلوعة، وحسام ينظر لها ولا يعرف ماذا يفعل، ثمَّ قال بصوتٍ منخفض: أنا النهارده آخر يوم أقعد فيه معاكي وهمشي من العزبة.

- فيروز بصدمة: ازاي وهتروح فين؟! هتطلع للبشر اللي برا عشان يجروا وراك في الشوارع ويتريقوا عليك، لا مستحيل يحصل.

- حسام غاضبًا: أنا مش هينفع أقعد هنا أكتر من كده عشان مجيبش ليكي الأذى من عشماوي.

- فيروز مستغربة: عشماوي! أنت عرفته منين؟

روى حُسام لفيروز ما حدث في الصَّباح لهما فقالت فيروز وهي مصدومة: كل ده حصل منه عشان كده صاحية مش فاكرة أي حاجة، راجل مفتري منه لله، وأنت ازاي سابك؟

فروى لها ما حدث بينهما في منزل عشماوي.

- فيروز والصدمة بادية عليها: لو أنت فاكر إن عشماوي هيسيبك تبقى غلطان، عشماوي سابك لغرض وأنا بقولها لك، مش هتقدر تخرج من العزبة خلاص.

- حسام غاضبًا: هخرج ومش هقعد فيها، ولا مليون زي عشماوي يقدروا يمنعوني، عشان أنا الوسواس.

- فيروز والاستغراب قد تملك منها: أنت الوسواس!

(المواجهة)

أنا اسمي الدكتور كريم هنداوي، متخصص في العلاج النفسي وقدوتي في عملي الدكتور شوقي، أنا مش عارف أبدأ منين، بجد نفسي أوصف ليكم إحساسي دلوقتي، دقات قلبي من كتر الفرحة حاسس إنها هتقف خلاص، واقف بعد أكتر من سنتين تعب بناقش رسالة الماجيستر الخاصة بيا وكل عيلتي حواليا، مش قادر أوصف مدى فرحتي بيهم لأنهم سندي الحقيقي بعد ربنا، مش هطَول عليكم في شرح رسالتي اللي ناوي أكمل الجزء الثاني منها في رسالة الدكتوراة؛ أول جزئية حابب أوضحها إنِّي من وأنا صغير كنت موهوم بروايات الرعب اللي بتتكلم عن الجن والعفاريت والسحر وازاي يقدر الساحر أو الدجَّال يرسل سحره لشخص ويوجهه لتفكيره الشيطاني، كنت بقرأ زي أي شخص وبستغرب، قريت بحسب تخصصي النفسي لما كنت طالب في الكلية وبعد بحث وقراية كتيرة قدرت أوصل لحل للغموض اللي ساد عقلي وقتها، وهو إنِّي قدرت أربط السحر بالمرض النفسي

ومدى تأثير سحر الدجال الأسود على الناحية النفسية، وإنه بيشتغل على النفسية عن طريق إرسال سحره ودجله من خلال اللي بيسخرهم له من الجن اللي بيقدر من خلال وسوسته للإنسان إنه يقنع الشخص اللي قدامه بتوجهاته الشيطانية اللي بتدفع المريض للهروب لعالم آخر وهو عالم ما وراء الوسواس.

الاستغراب ظهر على ملامح الحضور وواضح إنهم مش مصدقين نظرية الدكتور كريم اللي أثبتت أسرار كانت خفية عنهم كثير.

- كريم يكمل: متستغربوش، فعلًا دي حقيقة وقدرت أثبت ده من خلال تجربة عملية بسيطة عملتها وطبعًا تحت إشراف الدكتور شوقي أبويا وأستاذي، جبت مريض نفسي بيعاني من مرض الوسواس وقدرت بعد عقد كذا جلسة معاه عرفت إنه بيعاني من سحر أسود لعين منذ الصغر، السحر قدر صاحبه يحوله لمرض مزمن وهو الوسواس.

كريم نائِم على السرير في عالم آخر، راقدٌ بين أجهزة تعطى له فرصةً للحياة مرة أخرى، فجأة انتفض جسد كريم بقوة وبدأت أصوات تصدر من الأجهزة، حاول عقل كريم أن يخرُج من تلك الغيبوبة، صراعٌ شرس يخُوضه كريم من أجل البقاء في عالمنا، شريط حياته يمرُّ أمام عينيه يتذكَّرُ لحظة تحقيق أول حلمٍ له قبلَ أن يأتي ذلك الوسواس ويقضي على أطياف حياته المتلونة، يُخرج زفيرًا بقوةِ أنفاسٍ متصاعدة، يحدِّق بعينيه ويحرك كلتَا يديه، واستفاق كريم من الغيبوبة، بعثَ الرب الروحَ من جديد من أجلِ تحقيق النِّصف الآخر من أحلامه، غير مصدِّقٍ ما يراه، يتحسَّسُ جسده لكي يتأكَّد بأنه في عالم الدنيا وليس الأموات.

- وبصوت عالٍ متعب: حد يساعدني، يا اللي هنا.

الساعة العاشرة مساءً، النُّور الطفيف يسيطر على أروِقةِ المستشفى، كريم ينادى ويسمعُ صدى صوته، اليأسُ تملَّك منه وهو يحاولُ أنْ يقِف على قدميه فلم يقدر، هُناكَ شيءٌ غريب، أحسَّ أنه فقد الإحساس بقدميه.

- صرخ: حد يلحقني، يا دكتور حد يلحقني.

نظر كريم ناحية الباب أملًا في أنْ يأتي الله بالفرج حتَّى سمع صوت أقدامٍ قادمةً له، وقف كريم والترقب ظاهرٌ عليه، وفتح البابَ فوجد أمامه المقدم حسين.

- قال حسين وهو مبتسِم: حمدًا لله على السلامة يا دكتور كريم.

- كريم باستغراب: أنت مين.

- حسين: أنا المقدم حسين من المباحث، والمختص بالتحقيق في مقتل الدكتور شوقي.

- كريم والصدمة باديةٌ عليه: الدكتور شوقي اتقتل ازاي ده كان لسه معايا؟!

- حسين بسخرية: ومتعرفش الجديد بقى، إن حضرتك متَّهم بقتله كمان.

- كريم بغضب: مستحيل، أنا مقتلتش الدكتور شوقي أبدًا، ده كان بمثابة أب ليا مش بس دكتوري، مستحيل.

- حسين بغضب: ازاي يا دكتور والشهود اللي دخلوا عليكوا في الأوضة انتوا الاتنين لقوا حضرتك ماسك سكينة وقاتل الدُّكتور بخمس طعنات متفرِّقة في جسده، مش كده بس لا ده تقرير الطب الشرعي أثبت بصماتك على السكينة، يعنى محدش غيرك.

- كريم باكيًا: مُستحيل أنا أقتل دكتور شوقي، أنا آخر حاجة فاكرها والله إنه كان مصلوب على الحيط، وأنا حاجة امتلكتني فمعرفتش أتحرك وقبلها كنت بحاول أفتح الباب عشان حد ينجدني.

- حسين وهو ينظر لكريم وبصوت هادئ: أنا مصدق إنك مقتلتش الدكتور شوقي.

وكريم مُستغرب من رد فعل حسين.

- حسين يكمل: اللي قتل الدُّكتور شوقي هو اللي حاول يقتلني لما زورتك، بس عايز أعرف منك تفاصيل كل حاجة خاصة بحارة الوسواس.

روى له كريم كل شيء يخصُّ حارة الوسواس، وحسين جالسٌ يستمعُ بكل تركيز حتى استوقفته جملة.

- حسين: طيب محدش قدر يوصل لمكان حسام؟!

- كريم بصوتٍ منخفض: لا خالص، ولا رجال الشرطة ولا احنا، حتى الكل افتكر إنُّه ميت.

- حسين مؤكدًا: يعيى عشان نقدر نعرف مين الوسواس لازم نلاقى حسام، أنت بتقول من كلامك إن حُسام مش مريض نفسي بالوسواس لا ده الوحيد اللي يقدر يكشف لينا لغز قتل الدكتور شوقي؛ يعني أنا كده عشان أكشف براءتك لازم ألاقي حسام، بس للأسف يا دكتور أنا مضطر أقبض عليك لأنك حاليًا المتَّهم الوحيد فيها.

وبدأت الصَّدمة تَظهَر على كريم خاصةً بعد ذهاب حسين إليه، ووضعَ الكلبشات في يده وقبض عليه.

(الصِّراع فِي العِزبَة ١)

تحذير: لا تردد أي رموز أو طلاسم بصوتٍ عالٍ

كانت الحياة بالنسبة لي عبارة عن أمل وخوف من القادم، فلم أتوقع أنني سأظل أقاتل طوال حياتي من أجلِ الحرية، نعم، تلك الحرية التي خلقت ليس للتعبير عن الرأي فقط، بل أيضًا للتعبيرِ عن كرهي للبشر، بالفعل أنا لأكره جنس البشر فهم ليس لهم أمان، خادعون مبتزون شامتون؛ لذلك حانَ الوقتُ لكي أردَّ حقي وأبعث قوتي لأتخلَّص من لعنتهم للأبد فأنا على الموعد.

مازالت الحياة مستمرة في عزبة عشماوي منذ الأزل ونشوئها على المدى القريب، واحتوائها للمشرَّدين من جميع أنحاءِ مصر؛ هذه العزبة التي لم يَسمع عنها الكثير ولا يعرفها غير القليل، بالفعل إنَّها عملة نادرة جدًا.

حسام جالِسٌ بين طيَّاتِ الريح الذي تحمَّل ترابَ الذِّكريات في عقله، يفكِّرُ والساعة تدقُّ السابعة صباحًا في كيفية الخروج من العزبة وبجانبه الكارتونة وبداخلها كتاباته الخاصة التي يهربُ بِها من هَذا العالمِ الشِّرير، الحيرةُ على وجهه وهو يفكِّر في طريقةٍ للخروج، الجميعُ نائم والعزبة هادِئة حتَّى أحسَّ بأنفاسٍ خلفه فالتفت بلهفة، وجد فيروز والترقُّب على ملامحها.

- حسام بصوتٍ مُنخفِض: مش هتقولي لي برضه أخرج ازاي؟

- فيروز بغضب: قلت ليك مقدرش أقول لك عشان المرة دي عشماوي هيموتني بجد.

- حسام بغضب هو الآخر: يووه، قلت لك ميقدرش يقرَّب مِنك، أقدر أقف قصاد مليون واحد زي عشماوي.

- فيروز تقول: مش يمكن كمان عشان مش عايزَاك تمشي.

- حسام بصوتٍ عالٍ: بس أنا عايز أمشي، أقعد هنا أعمل إيه؟!

كتَّر ألف خِيرك إنك كنتي عايزة تساعديني، بس أنا اتسببت ليكي بأذى، لو بتعزيني خرجيني.

- فيروز بصوتٍ منخفض: ماشي، أنا هساعدك تخرج، اتفضل قدامي امشي علشان أخرَّجك.

يسير الاثنان وفيروز تنظُر لحُسَام نظرةَ عتابٍ ولوم على ما فعله، وصلا إلى مدخل المَمر وقبل دخولهما له هبط وأَقفل مكان الممر، رجعَ الاثنان للخلف والخوف يسيطرُ على فيروز، دقَّاتُ قلبِها تتزايد، تتحرَّكُ في مكانها وحُسام يقفُ أمَامها كنوعٍ من الحماية، رفع رأسه فوجد مجموعةً من الأشخاص يقفون وهم يحملون الأسلحة الآلية أعلى العزبة ووجَّهوها عليهما فاستَدارا بحالةٍ من التِّيه ليجدا عشماوي واقفًا وبجانِبه شقيقُ فيروز الصغير، وهي تصرخُ بكلِّ قوَّة وتحاولُ أن تندفع إليه لكن حسام يمسكها.

- عشماوي بسخرية: متخافيش يا قطة، أنا مش هكلمه، يا عيني الولد مش مستحمل، كفاية المرض اللي بياكل فيه كل يوم.

- حسام بغضب: أنت عايز إيه يا عشماوي؟

- عشماوي يضع يده على كتف الولد ويضحك: عشماوي ميتقالوش عايز إيه، عشماوي يُأمر ويتنفِّذ كلامه.

- حسام بصوتٍ عالٍ: انجز، عايز إيه؟!

- دفع عشمَاوي الولد لأحد رجاله واقترب منهما وقال: اهدى بس يا حسام ومتعصبش نفسك، صحتك يا حبيبي تهمنا، عايز أوريك حد عزيز عليك الأول وبعد كده نتكلم.

أشَارَ عشماوي لأحدٍ رجاله وذَهب سريعًا فنظَر حُسام بترقُّب، فجأة أتى الرَّجل وبجوارِه إبراهيم فهمي المحامي.

- إبراهيم مبتسمًا: أهلًا يا حسام، عاش من شافك.

- حسام والصدمة بادِيةٌ عليه: أستاذ إبراهيم المحامي!

أنت إيه اللي جابك هنا؟!

- إبراهيم بسخرية موجهًا حديثة لعشماوي: فيه إيه يا عشماوي؟

أنت محكيتش له الحوار؟!

- حسام ينظر للاثنين وهو غيرُ مستوعب لما يحدث أمامه وقال: فيه إيه ما تفهموني؟!

- قاطعه عشماوي اقترب من أذني حسام وقال: قبل ما أقول لك لازم الأول نشكر فيروز على وقوفها جنبنا، وإنها قدرت تنفذ المطلوب منها وتجيبك لينا وكمان نشكر متولي.

نظر حسام إلى متولي فوجد السائق الذي كان يعتدي على فيروز، اتسَعت حدقتاه من الصدمة التي قتلته ببطء.

- أكمل عشماوي: مش عارف الصراحة من غيرهم كنا عملنا إيه، نفذوا كلامنا بالحرف الواحد، أعتقد بقى تكمل أنت يا إبراهيم بيه.

- ضحك إبراهيم وقال: حاضر أكمِّل أنا، حسام أنت هنا عشان تنفذ كلامنا وبس واللي هيتطلب منك وإلا هتموت ومحدش هيعرف عنك حاجة.

- حسام بسخرية: موت إيه يا أستاذ إبراهيم، أنت عارف اللي فيها، بره ميت وهنا لو عايزين تموتوني اتفضلوا، أنا مرحَّب جدًا بالفكرة.

- إبراهيم بصوتٍ عالٍ: حلو الكلام، حاضر همووِّتك.

أخرج إبراهيم مسدَّسًا ناريًا من جانبه ووجَّههُ ناحية حسام والجميعُ في حالةِ ترقُّب، ثمَّ أَطلق طلقةً منه عليه، وفجأة دفعَت فيرُوز نفسها تجَاهَ حُسام واصطدمت بها الطَّلقة ووقعت على الأرض والدماء تسيل من بطنها، أمسكها حسام ووَضعها بين قدميه.

- فيروز بصوتٍ متقطع قريب من الموت: متزعلش مني يا حسام، أنا اللي غلطانة، سمعت كلامهم وجيبتك هنا غصب عني عشان أنقذ حياة أخويا، خلي بَالك من نفسك ومن أخويا لأن ملوش حد غيرك، اوعدني يا حسام.

- حسام باكيًا: اهدي متكمليش، خلاص بوعدك.

- وصرخ: هاتوا دكتور، فيروز، فيروز.

- كان للموت رأيٌ آخر؛ فقَد ماتت فيروز بين يدي حسام وتركت الحياة.

فقدتك مثل الكثير الذين فقدتُهم طوال حياتي لكن كانت هذه المرة مختلفة؛ لأنكِ فقدتِ حياتك من أجلي ورأيتُ بداخلِك ملاكًا من السَّماء لا يريد سوى المغفرة، لا تعلمينَ مدى زيادة كرهي للبشر الذين خلقهم الرب للقتل وسفك الدماء، لماذا تركتني يا أمي؟

في أي حياة أقابلك يا أبي، أَنا وحيدٌ منذُ الأزل، مريضٌ منذ الوعي، بداخلي شخصان يصارِعان بعضهما لإخضاعي، طريقُ الخير وطريق الشر لأيٍ منهُما سأذهب؟!

لكن في الحقيقة دائمًا الوسواس يربح.

كعادته كان حُسام مكتُوف اليدين ويرقدُ على الأرض لأكثر من يومين بدون طعامٍ ولا مياه، لا يوجد سوى هواء يدخلُ من البابِ الحديدي، عقلُه يفكرُ في المأساة التي يعيش فيها، الآن قوته الوسواسية لم تقدر على فكِ أسرِه ويحس أنَّه مُقيَّدٌ بواسِطة كلِّ شيء لأنه وعد الله بعدم استخدمها في الشر لأن السِّحر حرمه الرب، فماذا يفعل؟

أقدامٌ تسيرُ من الخارج وتفتحُ الباب، ثمَّ تسحبُ حسام من كتفه على الأرض

للخارج، أذناه تسمعان صيحات الرجال ويرفعُ رأسه ليجد عشماوي وإبراهيم جالسان ويشربان الشاي الأخضر.

- عشماوي بسخرية: إيه يا حسام لسه عايز تموت؟

- إبراهيم يقاطعه: طول عمره كده غبي، الله يرحمك يا شوقي كنت دايمًا عارفه.

- رفع حُسام رأسه والصدمة بادية عليه: هو دكتور شوقي مات؟!

- إبراهيم ضاحكًا: إيه ده هو أنا مقلقتلكش؟

- حسام متسائِلًا: مات امتى وازاي؟!

- قَال إبراهيم: يا عيني ابنه وتلميذه الدكتور كريم قتله.

- انتابت الصدمة مرةً أخرى حسام وحاول أن يقف وهو يقُول: مستحيل دكتور كريم يعمل كده، أنت كداب.

- إبراهيم: كداب، طب استنى أوريك الكدب.

- أخرج إبراهيم هاتفه المحمول وبدأ يبحثُ فيه، ثمَّ ذَهبَ ناحية حسام.

- إبراهيم: أقرا، شوف مكتوب إيه.

حسام يرمش بعينيه لكي يقرأ ما تحويه شاشةُ الهاتف فوجدَ صورة الدكتور كريم لحظةَ القبضِ عليه ومكتوبٌ عليها:

«القبضُ على قاتل معلمه، دكتور يقتل أستاذه»

الصَّدمة تملَّكت حسام وجسدُه أصبح مشلولًا، ووقع على الأرض منهارًا من البُكاء.

- إبراهيم ضاحكًا: صدَّقت يا صغنن؟

- عشماوي يتدخَّل: معلش يا حسام، أنا عارف إن الاتنين كانوا عزاز عليك.

- حسام باكيًا: ممكن تسيبوني أمشي.

- الاثنان يضحكان بسخرية بعد هذه الجملة وبصوتٍ واحد قَالا: حاضر، بس بعد ما تعرف الأول احنا عايزين منك إيه، مش يمكن تغيَّر رأيك وتحب تقعد معانا.

- حسام يقول: عايزين إيه؟!

- عشماوي مبتسمًا: أيوه كده الكلام يحلو.

- إبراهيم يتدخَّل: احنا عايزين منك حاجة صغيرة تعملها وهتمشي، وهتاخد فلوس كتير كمان ممكن تسفَّرك برا البلد وتغيَّر لك حياتك الوحشة دي لجنَّة.

- حسام مستغربًا بشدة.

- إبراهيم يُكمل: محتاجينك معانا في مدينة الجن.

اعتلَى التساؤل ملامِح حسام وهوَ غير مدركٍ ماذا يقصد.

- عشماوي يقاطع إبراهيم: خليني أكمِّل أنا، زمان أوي قبل ما أنا أعيش في العزبة دي زي المشرَّدين وأهلها كانت العزبة عايشة في خراب على طول وبيوت بتولع وناس تختفي وحاجات كانت مُرعِبة، لما جيت وعشت شفت فاستغربت لغاية ما في يوم قررَّت إني أعرف السرَّ ده، قعدت سنين أحارب لوحدي في الجن اللي كان هو السبب في كل اللي بيحصل ده لغاية ما قدرت أبعده عن العزبة وحرَّمت دخوله ليها بقوة سحري اللي بمتلكه، لكن الحاجة الوحيدة اللي مقدرتش أدخلها هي مدينة الجن.

- إبراهيم يكمل: أيوه مقدرناش نخشها، عارف ليه عشان دي مدينتهم، هي موجودة هنا في العزبة؛ مدينة أثرية قديمة نشأت من ٢٠٥١ عام، فيه آثار كتير أوي بس مين يقدر يخش وياخدها بقى دي المشكلة، بعد تفكير طويل ولما خرَّجتك من القضية عرفت من شوقي إن أنت حصلت لك لعنة حارة الوسواس يعني ممكن تسيطر على بشري أو جن أو حيوان أو أي مخلوق عن طريق الوسوسة، وقتها مجاش في بالي غيرك، أنا اللي هرَّبتَك في المستشفى بمساعدة عشماوي لغاية ما جبناك هنا في العزبة عشان أنت الوحيد اللي تقدر تدخَّلنا مدينة الجن.

حسام غير مصدقٍ حديثهما، الصَّمت مُخيِّم عليه ويفكِّر بماذا يردُّ عليهما؟

- حسام يقول: يعني المطلوب مني أدخَّلكم مدينة الجن وأوسوس للجن المختصّ بحماية مدينته إنه يسمع كلامي ويسمح لينا بالدخول، بعدها ناخد الآثار ونبيع وآخد نسبتي، صح الكلام؟!

- عشماوي بسخرية: صح الكلام يا حبيب بابا، إيه رأيك؟

- حسام بصوتٍ منخفض: موافق بس بشرط.

ينظران لبعضهما والقلق بادٍ عليهما.

- حسام يكمل: يبقى لأهل العزبة كلهُم نصيب من التركة.

- عشماوي بصوت عالي وغضب: مفيش الكلام ده، عزبة إيه، كلهم مشرَّدين وجربانين.

- حسام هادئًا: يبقى متَّفقناش.

- إبراهيم متسائِلًا: ليه يعنى عايزهم يشاركونا؟!

- حسام: مش همَّا أهلها والأحق بالحاجة دي يبقوا يقاسمونا، مش على كلامكم الآثار كتيرة يعنى هتكفِّينا.

عشماوي وإبراهيم ينظران لبعضهما ويفكِّران.

- إبراهيم مبتسمًا: موافقين.

- حسام: تمام، هنبدأ امتى؟!

- عشماوي يقول: بكره هكلِّم باقي النَّاس وهنخش بليل.

(مدينة الجن)

في البداية قبل ما نخش ونتحرك وننزل للمدينة لازم أعرَّفكُم الأول بالأستاذة حبيبة، دكتورة بشرية عشان تساعدنا لو حد فينا حصل ليه خطر، ثانيًا معانا عالم الآثار مايكل يساعدنا في البُعد عن الأماكن اللي بتحمل الهزَّات الأرضية وكشف الآثار معانا، ثالثًا ودا المهم لازم نتبع التعليمات اللي أقولها ليكم ومحدِّش يخالفها أبدًا عشان ممكن يعرَّض حياتنا كلَّها للخطر، لازم كلِّنا نبقى مع بعض فريق واحد منبعدش خطوة واحدة، ممنوع الصوت العالي في الداخل ولازم نمشي بخطوات خفيفة وبدون صوت، متفقين كل الكلام يتنفذ.

انتهى عشماوي من تعليماته للفريق الذي سيدخل إلى مدينة الجن والمكوَّن من حسام، وعشماوي، وإبراهيم، وحبيبة، ومايكل، ومجموعة كبيرة من رجال عشماوي يحملون الأسلحة الآلية، وبدأَ الجَميع في التَّحرك والظلامُ يسيطر على عزبة عشماوي، يسيرون خلف بعضهم، في الأمام عشماوي وآخرهم رجال عشماوي الذين يتوزَّعُون بينهم ويحملون أسلحتهم ولمبات الجاز، وقفَ الجميعُ عند مكانٍ يتواجدُ فيه غطاءٌ خشبيٌ كبير يغطِّى بئرًا طُوله خمسةُ أمتار وعرضه خمسة أخرى، ذهبَ ناحيته رجالُ عشماوي وأمسكوا الغطاء وحاولوا فتحه بقوَّتِهم العضلية، وبالفعل أزالوا الغطاء وظَهر البئرُ فجأة،

- فصاح حسام بصوتٍ عالٍ: استنوا، كلُّه يبعد عن البير.

الجميع ينظر لبعضهم والاستغراب ظاهِرٌ عليهم، وضَع حُسام كارتونته الخاصَّة على الأرض وأَخرجَ منها الكتيِّب الأسود المذهب من الأطراف وفتحه وأغمض عينيه وتمتَم بشفتيه لمدَّة ثلاث دقائق والجميعُ مترقِّب، انتهى وحمَل الكُتيِّب بين يديه ثمَّ سار ناحيةَ البِئر بخطواتٍ بطيئة ووضعَ رأسَه بداخِله، لم ير أيَّ شيءٍ سوى الظَّلام الدَّامس وطَلب من أحدِ رجال عشماوي إعطاءَه اللمبة، أمسَكها ووضعها في منتَصف البئر ونظر بترقُّبٍ شديد إلى أسفل حتَّى أحسَّ حُسام بأنَّ جسَده يرتعش وشيءٌ يدفعُه للخلف، أمسك جبينه وضَغَطَ على الأرض والجميعُ يبتعدُ من الخوف، ورجال عشماوي يوجِّهون أسلحَتهم ناحيةَ حُسام الذي امتلكته حالةٌ من التشنُّجات، حتى هدأَ من صراعاته الداخلية ورفَع رأسه بعينين حمراوين وملامح متغيِّرة.

- حسام بصوتٍ منخفض: يلَّا عشان نخش، واللي حافظ الطَّريق يكون قدامي.

- عشماوي يقول: أنا الوحيد اللي حافظ الطريق.

- نظَر له حُسَام مبتسمًا: اتفضل قدامي عشان نخش.

رمى عشماوي حبلًا طويلًا داخلَ البئر ونزَل وخلفَه حسام وباقي الفريق ورجال عشماوي حتَّى وقَفوا أسفل عمق البِئر بعشرة أمتار تحت الأرض، وقَفُوا ينتظرون قرار عشماوي الذي يُمسك اللمبة ويتحسَّس الحوائط حتَّى وجد مجموعة من الرموز « ×+z&+×ـ» أزالَ التراب عنها وتحسَّسها بأطرافِ أنامِلِه والجميعُ يترقَّب، حتَّى أحسَّ باهتزاز البئر.

- عشماوي بصوتٍ عالٍ: محدش يخاف، احنا نازلين تحت الأرض، كله يثبت ويغمض عينيه.

نفَّذ الجميع تعليمات عشماوي وهم ما زالوا ينزلون تحت الأرض، ثَبتوا عند آخرِ البئر في عمق أرضي يبلُغُ خمسين مترًا، هُم أيضًا ينتظرُون قراره وقد ظلَّ ينظرُ إلى الحوائط ويتحسَّسها حتَّى رأى كلمةً مكتوبةً بالفرعونية القديمة (خعر مو) فتحسَّسها بأطرافِ أصابِعه حتَّى فتح بابًا كبيرًا أمامهم.

- حسام بصوتٍ منخفض: الكل يبقى ورايا، فيه حاجه غلط.

- عشماوي مُستغرِبًا: في إيه؟! هنا مفيش خوف من حاجة، احنا لسه هنكمِّل تحت الأرض، الخوف من الباب الجاي في فتحه.

- حسام مُشددًا في حديثه: لا فيه خطر جاي، أنا حاسس بيه.

- تدخَّل الوسواس في سير حوار عقل حسام: فعلًا كلامك صح، لو كمِّلت جوا ممكن تموتوا.

- حُسام يُمسِك جبينه ويغمضُ عينيه ويصطدم ظهرُه بالحائط: أنت رجعت تاني؟! يارب سامحني.

- عشماوي مستغربًا: مالك يا حسام؟ احنا لازم نخش فورًا ومينفعش نستنى أكتر من كده.

- حسام بغضب: لازم نستنى، فيه خطر جاي ولو دخلنا هنموت.

ووقف على طرف الباب وتمتَم بشفتيه «میں تم سے پوچھتا ہوں کہ میرے فیصلے کو جمع کرو» بَعدها سمعوا أصواتًا شيطانيَّةً من الدَّاخل تتعَالى أصواتُها، الجميع ينتزعُ الخوفُ قلوبهم وحسام مازال يتمتِم بشفتيه.

- حسام مبتسمًا: يلا اتفضلوا خشوا.

الجميع يسير ويتقدَّمُهم عشماوي حتَّى وصلوا لبوابةٍ أخرَى فرجع عشماوي للخلف.

- عشماوي بصوتٍ مُنخفِض: حسام، البوابة دي أخطر البوابات ولو اتفتحت ومقدرتش تسيطر عليهم ممكن نموت لأن احنا داخلين مكانهم.

حسام ينظر إليه وقد تغيَّرت ملامحه، ولم يرد على عشماوي كأنَّه استخفَّ بحديثه، وتحسَّس الباب الأخير ليجد مجموعةً من الرموز والكلمات لم يقدر على فهمها ولا ما تدلُّ عليه، الحيرة تُسيطِرُ على حسام وهو يفكر ماذا يفعل، فأخرج الكتاب من جانبه وأمسكه وفتحه.

- الوسواس: الكلام معناه بيقول: هذه مملكتنا لا تعبَث وتدخل.

- حسام يقُول: مستحيل، لازم نخش.

يبحث بين الصفحات حتى توقَّفَ عندَ صفحة بها مجموعة من الرموز « ﴿ ﴾ × ﴿ ﴾ » وتمتم بشفتيه وأمسك اللمبة بيده اليُسرَى وسارَ حولَ المكان والجميع ينتظر ما سيحدث، فجأةً فتح الباب فرَجَعوا للخلف وحالةٌ من الهَرج والمرج سادَتهم، والخوف يسيطِرُ عليهم.

حسام بصوتٍ منخفض: يا ريت تِهدوا ويلَّا نخش.

إبراهيم بخوف: أنت متأكِّد إنِّنا مش هيحصل لينا أي شر؟

عشماوي مُتدخِّلًا في سير الحوار: أنا مش متطمن بس نشوف آخرتها معاك.

مايكل بصوتٍ منخفض: ياريت تِهدوا يا جماعة ونسمع كلامه، الشَّاب شكله فاهم جدًا وشكله قوي.

حسام بغضب: الكل يسكت ويا ريت نخش.

سار حسام والجميعُ في الخلف، يسيرُون والخوفُ واضحٌ في خُطواتِهم حتَّى دخلوا إلى مدينة الجن.

مدينة الجن؛ المدينة التي حكمها الجن منذ العصر الفرعوني الذي لا يعرفُ أيَّ شخصٍ عنها سوى في تخيلاتٍ مكتوبةٍ على ورق لكنَّها واقعٌ أليم فقَد نشأت المدينة منذ أكثر من ١٥٠٠ عام ميلادي وتمَّ اكتشَافها مؤخرًا عن طريقِ عشماوي الرَّجل القوي الذي استطاع محاربَة الجن الذي سيطر على هذه العزبة اللعينة طوال الفترات الماضية، العزبة المدفونة التي لا يدخُلها غير المشردون الذين يختبئون بها خوفًا من المُجتمع، وفي يومٍ من الأيَّام اكتُشِفت مدينةُ الجن الذي لم يقدر أحدٌ على دخولها من أهلِ العزبة في السابق أو عشماوي السَّاحِر القوي الذي لم يقدِر على محاربةِ حُرَّاسِ المدينة، لكن الآن جاءَ الوقتُ لدخولِ مدينةِ الجن.

هكذا جالس مايكل والجميع نائمٌ والهدوءُ يسيطرُ على مدينة الجن، يكتبُ في مذكِّراته الخاصة وصفه لمدينةِ الجن التي تتكوَّن من مجموعةٍ كبيرةٍ من البيوت الحجرية لا يُعلَم ما بداخِلها حتى الآن، العنكبوتُ والظَّلام ملتصقان وهو يكتبُ وينظُر لأَسفل المدينة ولم يستطِع الرُّؤية في الظَّلام ليُكمِل وصفَه للمدينة حتَّى شرَدَ في حديثِ روحه.

«أخطر مخاطرة في حياتي ولو قدرت أطلع من هنا هتبقى المدينة دي اكتشافي أنا، واسمي هيتكتِب في كُتب التَّاريخ على إنِّي مايكِل مُكتشِف مدينة الجن الأثرية، بس لازم مستَعجلش الأمور لغاية ما أعرف فيه إيه داخل المدينة، شكلها مرعب أوي، يارب سَترك وخرَّجنا منْها على خير».

- تدخَّل حسام فقطَع تفكيره: أستاذ مايكل، أنت لسه صاحي؟

- مايكل ضاحكًا: مين يقدر ينام في الرعب ده؟

- حسام بصوتٍ منخفض: فعلًا مفيش نوم جاي.

- مايكل ينظُر لحسام والقلقُ على ملامحه: مش فاهم، أنت بدأت تقلقني.

- حسام مبتسمًا: يعني اللي جاي صَعب، دخَلنا عالم مش عالمنا وتعدِّينا على حدود آخرتها دم.

- مايكل انتفض ودقَّاتُ قلبه تتزايد: قصدك يعني إننا هنموت هنا؟

- حسام بسخرية: أكيد محدِّش فينا هيخرج من المدينة.

- مايكل بصوتٍ عالٍ: اصحوا يا جماعة، لازم نرجع مطرح ما جينا.

الجميع استيقظ بعد نداءِ مايكل لهم وفتَحُوا أعينهم وأَشعَلوا لمبات الجاز حتَّى تتَّضِح الرؤية لهم.

- عشماوي يتساءل: فيه إيه يا أستاذ مايكل؟!

- مايكل خائفًا: حسام بيقول إنِّنا لو كمِّلنا مش هنعرف نطلع من المدينة وهنموت.

- عشماوي موجهًا حديثه لحُسام: ليه قلت كده يا حسام؟!

- حسام بصوتٍ منخفض: عشان دي الحقيقة، الجن الأحمر اللي هنا مش هيرحمنا.

- إبراهيم بغضب: أمَّال احنا جينا بيك ليه معانا مش عشان تسيطر عليهم؟!

- حسام مؤكدًا: فعلًا سيطرت عليهم والدَّليل إنكم قاعدين والباب مفتوح.

- عشماوي بغضب: لا، احنا قاعدين نريَّح ومستنيين أمرك عشان نخش.

- حسام يقول: أنا معنديش مانع نخش بس أنا حذَّرتكم من اللي جاي.

- حبيبة تتدخَّل في سيرِ الحوار: ممكن سؤال يا حسام؟

حسام نظر لها ولم يرد.

- حبيبة تُكمِل: أنت خايف ليه ومرتبك كده؟!

- الاستغراب ظاهِرٌ على حسام ثمَّ نظَر لهَا والغضبُ يجتاحُ ملامحه ويقُول: أنا عمري ما خفت بس أنا خايف عليكم، على العُموم حصَل خِير، يلَّا عشان نخش، لازِم تِعرَفُوا إن هنا مفيش شمس ونهار، هنا مفيش غير ظلام يعني لازِم نكسَب وقت وناخد الحاجة ونِطلع.

يسيرون بحذرٍ على السَّلالم ذات الطَّابع الأثري القديم ويمسكون المشَاعِل وهُم يُنيرون طريقهم حتَّى وصلوا إلى بدايةِ المدينة من الدَّاخل، وَجدوا مجموعةً من الجَماجِم مُعلَّقة على حوائط المدينة، تَركهُم مايكل واقتَرب من الحائِط والجُمجمة وأزال التُّراب عَنها ليرى الكَلام المكْتُوب على الحائط فوجد « » أخرجَ من حقِيبته جهازًا لوحيًا وفتحَ الكاميرَا والفلاش، التَقطَ صورةً للحائط وتحسَّس الجهاز بأصابعه بطريقةٍ سريعة.

- مايكل بصوتٍ منخفض والعرقُ على جبينه: استنوا، محدِّش يتحَرك لأن الجملة دي معناها (هُنا يجلِس ملك الجن الأحمر).

الاستغراب ظَهرَ على الجميع ولم يفهموا ماذا يقصد؟

- وأَكمل: متستغربوش، أنا هورِّيكم دلوقتي.

ذهب ناحية الحائط ومسح التُّراب عنهُ بكلِّ قوة والجميعُ ينظرُ له، انتهى من فِعله فذهب عشماوي لِجواره وتتحسَّس الرموز والطلاسم المرسومة على الحائط، ومن الناحية الأخرى تدخَّل الوسوَاس في عقلِ حسام: اللي بيعملوه ده خطر عليهم، لازم توقفهم.

- أغمَضَ حُسام عينيه من شدَّة تأثيرِ الوسواس واندفع إليهم بكلِّ قُوة وقال: ابعدوا عن الحيطة، اللي بتعملوه ده غلط، تحسِيسكم علَى الرُّموز والطَّلاسِم دي ممكن تشعلهم.

أَمسَك عشماوي حسام من رأسه ودفعه إلى حبيبة التي تقعُ هي وحُسام وانزَلقا لداخِل أحدِ الكُهوف، والجميعُ يصرخ خوفًا عليهم، ذَهبُوا داخل الكهف فَلم يجدوا حسام وحبيبة، نظَروا لبعضهم والخوفُ على ملامِحهم وهُم يرجِعون للخلف.

- إبراهيم بغضب لعشماوي: طول عمرك مندفع وغبي.

- عشماوي بخوف: والله ما أقصد أعمل كده، معرفش راحوا فين، احنا لازم ندوَّر عليهم، حسام لو فارقنا مش هنخرُج من المدينة.

فجأة سمعوا صُوت البَاب يُقفَل بقوَّة الذين دخلوا من خلاله للمدينة، نظَروا ناحيته يحدِّقون بخوف والارتباك ساد الموقف.

- مايكل يبكي من شدة الخوف ويقُول: شوفتوا، زي ما قال الولد إننا هنموت.

- عشماوي موجهًا حديثه لرجاله العشرة الذين يرافقون الفريق: خشوا الكهف ده دوروا على حسام.

دخَل رجال عشماوي إلى الكهف بالمشَاعِل وأسلحتهم الآلية، وصَاحَ أحدُ الرِّجال بصوتٍ عالٍ: تعالى بسرعة يا ريس عشماوي.

جرَوا لداخل الكهف فوجدوا بئرًا مظلمًا به مياه لكنَّها ليست مستقرة وتتحرَّك كأَن هناكَ شخصًا بداخلها، طلب عشماوي من أحد رجاله أن يمدَّ يده داخل البئر حتَّى يتأكد من أنَّه خالٍ منهما، يمسك الرجل المِشعل ويقتربُ من البئر ويمدُّ يده داخل المياه فتخرُج يدٌ وتسحب الرجل للداخل ويختفي، يرجعون للخلف من شدة الصدمة من ظهور تلك اليد وسحبِها للرجل، ويشدُّ أحد رجال عشماوي

الأجزاء ويطلقُ النِّيران داخل البئر لمساعدةِ زميله الذي سُحب لكن بدون فائدة.

- إبراهيم بغضب: شفت، لتاني مرَّة بسبب غباءك واحد من الرجالة مات.

- عشماوي بغضب: أنا مقصدش، لتاني مرة حسيت فيه حد تحت الميه وقلت ممكن يكونوا هُمَّا.

- إبراهيم يصرخ: مش عايز منك تدي أمر لحد، كفاية تلاتة راحوا، لغاية ما نشوف هنطلع ازاي من المخروبة دي.

الجميع جلس في مكانه وحاولوا التَّفكير فيما حدث وما سيحدث.

مرَّت ساعتان عليهم وهم جالسون والخوف على وجوههم بعد اختفاء حسام وحبيبة والظَّلام القاتل في المدينة، الارتباك واضح على إبراهيم الذي يتحرَّك بينهم بقدمين ثائرتين.

وبصوتٍ يتملَّكه الخوف: احنا مش هنفضل قاعدين ولا عارفين نخرج ولا نتحرك نكمِّل مهمتنا مدام دخلنا.

- عشماوي يرد: أنا خايف أقول لك نكمل تفضل تزعق وتلموني.

- مايكل يتدخل وبصوتٍ خائف: لا أنا مش عايز أكمل خلاص، خرجوني من هنا.

- إبراهيم بغضب: امسك نفسك يا مايكل، أنت من الأول عارف إن فيه خطر من دخولنا بس أصريت تيجي معانا.

- مايكل يقول: وأنا بقول لك إني غلطان وخرجني يا أستاذ إبراهيم.

- عشماوي مبتسمًا: عايزين رأيي، نكمل هي موتة ولا أكتر واحنا أصلًا هنخرج ازاي والباب اتقفل يعني مش قدامنا غير إنِّنا نكمل.

- إبراهيم باقتناع: فعلًا أنا معاك في رأيك، لو فضلنا قاعدين مش هنعرف حتَّى نخرج، يلَّا يا عشماوي وزَّع رجَّالتك بيننا ونبدأ في السير.

مايكل نظر لهما واستسلم للقدر الذي من الواضح لم يساعده على كتابة اسمه بين صفحات الاكتشافات الأثرية وسار معهم بين رجال عشماوي الذين يسيرون بكلِّ حذر موجهينَ أسلحتهم أمامهم والنيران تضئ الطريق المظلم، حتَّى وصلوا إلى أسفل المدينة والحوائط الأثرية تحيطهم، التَفت عشماوي يمنةً ويُسرة لكي يرى أي شيء يدُله على طريقٍ آخر ليستكملوه فلم يجد سوى كهوف غير أثرية تحيط مداخل المدينةً الداخلية، أمسك عشماوي خاتمه الأسود الذي يرتديه بيده اليُسرى بإصبعه قبل الأخير وتمتَم بشفتيه، ونظَر إبراهيم ومايكل له والترقُّب مُسيطر عليهما حتَّى توقف عشماوي.

- عشماوي بصوتٍ منخفض: أنا احترت، مش عارف هنمشي على أنهي طريق.

- إبراهيم مستغربًا: ازاي؟ مش أنت قلت إنك عارف طريق من جوه.

- عشماوي مؤكدًا: أيوه عارف بس فيه حاجة غريبة، قوة سحري وقفت ومش عارف أحدد، حاسس إنِّي عاجز.

- إبراهيم بغضب: إيه الحل؟! احنا هنفضل واقفين في نص المغارة المرعبة دي، وفين أماكن الآثار اللي المفروض هناخدها؟

عشماوي ينظر إليه والضعف على ملامحه؛ شخصٌ قوي البنية وبدون سحره الذي كان يحتمي به، الاستغراب والخوف يسكنان مايكل الذي يحاول أن يفتحَ الجهاز بدون فائدة، لقد انطفأ للأبد.

الجان هو المخلوقُ الغَريب الذي أخَاف الإنسان منذُ آلاف السنين الماضية، والذي لا يعمله الكثيرون أنهم يعيشون مثلنا ولهم قواعِدهم وقوانينهم الخاصَّة، ينصِبون المحاكِم لمحاكمَة الخاطئ ومعاقبته، وينقسمون للعديد من القبائل ويتصارعون

ويقاتلون بعضهم من أجلِ الحصولِ على حكم المملكة وفرضِ القوة، أسئلةٌ كثيرة تدورُ في رأسنا منذ الأزل؛ أولًا: لماذا لم نرهم على أرضنا؟ لماذا أراد الله إخفاءَهم؟، هل هُم بالفِعل يصارعون الإنسان على الأرض من أجل السيطرة عليها؟! جميعُها أسئِلة تدور والحِيرة مستمرَّة، لكن ماذا لو ملك الإنسان قوة الجان؟

حسام نائِم وبجواره حبيبة على الأرض مغشيًا عليهما بعد سقوطهما داخل البِئر من خلال الكهف فقد سقطَا تحت أرضِ المدينة بحوالي ثلاثين مترًا، هُما في آخر طوابق المدينة الذي تُوجَد فيه مقابرُ المدينة الأثرية.

أرضٌ وحوائط مذهبة مساحتها تتجاوز عشرة فدادين وبها العديد من الممرَّات ذات الطابع الأثري المُذهب أيضًا، كلُّ ممر يحتوي على باب فرعوني خاص بمقبرة النيران، المَشاعِل معلقة على الحوائط لتنير هذا الجمال الأثري النادر بحوائطه وأرضيته الذهبية المنقوشة برسومات فرعونية تثير روح الكآبة تجاه الحياة، أحلام مرعبة في عقله الباطن وهو يركض مثل المجنون، خائفٌ من شيءٍ خفيٍ يُرافقه ويدفعه للسقوط داخل حفرةٍ مليئة بالطِّين المغري الغاضب، يستيقظ وهو يُسحب للأسفل بأنفاس متصاعدة بصورة غير طبيعية ومتعبة، استيقظ حسام وهو يحدِّق أمامه وملابسه غارقة بين مياه البئر والعرقِ السائل، ينظرُ برأسه ليكتشف المكان فيجدُ حبيبة نائمةً بجانبه، يندفع إليها ويحملُها بين ذراعيه، يحاولُ أن يوقظها حتى تتقيأ ما تبقَّى من مياه البئر داخل معِدتها، وأنفاسُها متعبة هي الأخرى.

- حبيبة بصوتٍ متعب: احنا فين وإيه اللي حصل؟!

- حسام بشغف: معرفش، أنا آخر حاجة فاكرهه إننا وقعنا في حاجة زي ميه كده أظن.

- حبيبة مؤكدة: أيوه فعلًا، كلامك صح.

- حسام ينظر إلى المكان والاستِغراب مُسيطر عليه: إيه المكان ده؟ شكله غريب وكله ذهب حتى الأرض اللي واقفين عليها.

- حبيبة تنظر لأعلى وتقول مؤكدة: حتى السقف برضه مذهب، طب احنا وقعنا منين ما دام مفيش أي مكان مفتوح؟

- حسام بحيرة: مش عارف، وبقية الناس اللي معانا فين دلوقتي.

- حبيبة بصوت خائف: احنا لازم ندوَّر عليهم.

حسام اقترب من حبيبة وطلب منها عدم البقاء خلفه وهو سيتصدر المشهد من الأمام، يسيران ببطء وحذر كبير ناحية أحدِ الممرات في الجانب الأيمن، وفجأة يسمعان بالدَّاخل صوتًا غريبًا غير مفهوم فيقفُ الاثنان، سار حسام بمفرده لتتَبع الصوت وظهر ثعبان طوله سبعة أمتَار أمامه ومن قوة المفاجأة اندفع حسام على الأرض ووقع على ظهره فصرخت حبيبة بكل قوة، اقترب الثعبان وهو من نوع (الأصلة) الضخم السَّام بجلده الأسود السميك وعينين ناصعتا البياض، حسام ينظر له ويغمض عينيه حتى لا يراه وحبيبة ما زالت تصرخ وترجعُ للخلف من الخوف، يفتح عينيه وحدَّق للثعبان الذي فتح فمه وأخرج لسانه السام، ويتمتَم بشفتيه ببطء.

- الوسواس بدأ التحدث في عقل الثعبان: ابعد عنه عشان ممكن ياديك.

- وقف حسام وحدث نفسه: ابعده عني، سيطر عليه، بقول لك سيطر عليه.

- الوسواس للثعبان: خش جوه مطرحك وخليك حارس على مكانك.

الثُّعبان صامت في مكانه ثمَّ بدأ يتراجع للخلف داخِل الممر من جديد. حسام يُهدئ من ارتعاشِ جسده وينظر لحبيبة التي ترتعش من الفزع، فيذهب لها وملامحه متغيرة أيضًا، بصوت مرتعش: خلاص اهدي، هو مشي.

- حبيبة باكية: أنا حاسة إني بحلم، كنت بشوف الحاجات دي في الأفلام، أنا خايفة أوي.

- حسام ضاحكًا: لا متخافيش، وأهو شوفتي احنا في الواقع ولسه شكلنا هنشوف، فكري معايا هنخرج ازاي من المدينة دي.

- حبيبة بحيرة: مش عارفه والله، مكان غريب وواسع جدًا، كله من الذهب، والأكيد إن التعبان ده موجود في كل ممر من دول.

- حسام مؤكدًا: فعلًا، التعبان ده حامي للمقابر اللي في الداخل، يعني المكان ده اللي هما في الأساس عايزينه.

- حبيبة باستغراب: بس أنا مستغربة، بير ميه جَابنا هنا ازاي ومفيش ولا فتحة مفتوحة تدل على مخرج للبير؟

- حسام يفرُكُ فروةَ رأسه: فعلًا، يعنى كده احنا هنبقى هنا على طول ومش هنعرف نخرج.

- حبيبة مؤكدة: مش قدامنا غير إنِّنا نستنى وهما أكيد هيوصلوا لينا وللمكان ده عشان الآثار.

- حسام يقاطعها: معتقدش، همَّا دلوقتي أصلًا تايهين ومش عارفين هيرحوا فين.

- حبيبة بصوت متعَب: المهم احنا هنطلع من هنا ازاي؟ مش أنت بتملك قوة سحر.

- حسام نظر لها وتغيرَت ملامحه وقال: متقوليش كده تاني، أنا مش ساحر.

- حبيبة والاستغراب على ملامِحها هي الأخرى: أنا آسفة مقصدش، بس ده اللي عشماوي قاله لينا.

- حسام يغمض عينيه ثم يفتحهما والحزنُ على وجهه وبصوتٍ حزين قال: غصب عنى، والله بستخدمه لما جه وقال لي اتحطيت قدام الأمر الواقع، وعشان أقدر أعالج الولد الصغير اللي أصبح في رقبتي.

- حبيبة باستغراب: أنت متجوز؟!

- حسام ضاحكًا: لا، ده أخو فيروز اللي ضحت بحياتها عشان أكون قدامك.

- حبيبة تقول: فهمت، مش دي البنت اللي موتها إبراهيم المحامي؟

- حسام بغضب: أيوه، هي ماتت عشاني.

فجأة أثناء حديثهما حدَّقت حبيبة بشيءٍ، والاستغراب بدا على حسام الذي أشَار بيده اليمنى لها وهي مازالت محدقة وتريد أن تتحدث لكن لم تقدر فهناك شيءٌ تمكَّن من خلايا جسدها بالكامل، ذهب حسام إليها فصرخت حبيبة بكل قوتها لينتفض ويرجع للخلف ويصطدم بشيءٍ ما، أدار جسده ليرى فلم يجد شيئًا فأخرج زفيرًا بخوف.

- حسام بغضب: اهدي عشان أفهم فيه إيه.

- حبيبة بأنفاس متذبذبة وصراخ لا ينقطع وبصوتٍ عالٍ: واقف هناك، أنا شايفاه.

مشَّط حسام المكان فلم يجد شيئًا يحدث، وفجأة بدأَ جسد حسام في التَّخدُّر والارتعاش، وعيناه تخرجان من مكانهما، لم يستطيع مقاومته أو أن يسيطر على الوسواس في لحظة لأنه ابن محرز الأحمر.

ساعتان مرت وبقي الوضع كما هو عليه، الحيرة تشتدُّ عليهم وهم قد وزَّعُوا أنفسهم على السلالم الحجرية المُغبرة، والجماجم والعنكبوت يرسمان شكلًا الحوائط، إبراهيم ينفخُ دخان سجائِره ويصنع سحابة الأمل في الهواء وينظر

لها والتعجُّب على ملامحه، الدخان بعدَ لحظة خروجه يتبخَّر في ثوانٍ قليلة.

- وبصوتٍ عالٍ: يا جماعة أنا جاتلي فكرة.

فينظرون إليه والترقُّب على وجوهِهم وفي صوت واحد يسألون: إيه هي؟!

- إبراهيم بسخرية وضحك هيستيري: ننام، ننام يا جماعة.

الغضب واضحٌ على عشماوي، وهو يضغطُ على أسنانه ويفكر في قتله لكنَّ المصلحة تحكم.

- وبصوتٍ غاضب: هو ده وقت هزار يا أستاذ إبراهيم؟

- بدأ مايكل حديثه بملامحه المحمرَّة من شدة الغيظ: تحنا لازم نفكر ازاي نطلع لأن قعدتنا في المدينة خطر علينا، فعلًا حسام كلامه بقى حقيقة.

أثناء حديث مايكل أحسَّ الجميع بأن هناك أنفاسًا أخرى معهم في المكان؛ فبدأ رجال عشماوي يشدُّون أجزاء أسلحتهم ويوجِّهونها بحذر بين جوانب المدينة، عشماوي يطلب الصمت من الجميع ويلتفت ببطء، وصوتُ صراخ يخرج من الكهوف ويتعالى فيضعون أيديهم على آذانِهم من قوة صدى الصوت ويركعون على أقدامِهم، رجال عشماوي يرمون أسلحتهم على الأرض وتبدأ الأسلحة بالانسِحاب لداخل الكهوف، ينظرون لها وقدرتهم تنخفض بسبب ذلك الصوت الذي بدَأَ تأثيره يهدأ ويتنفسون بصورةٍ متعبة.

«تدخلون مدينتي، بذلك تلعنون أنفسكم ليوم موتكم، لن أرحمكم لأن الدم سائل بيننا، أنتظرُ هذا اليوم حتى أنتقم منك يا عشماوي، لقَد دخلت مدينتي طمعًا في حياةٍ أنا أحرسها ولا يجرؤ أي شخص أن ينهبها لأنها تحت حراسة ابن محرز الأحمر وقبيلته».

- عشماوي بصوتٍ خائف: احنا اتفقنا على السلام.

- ابن محرز الأحمر: لا سلام بيننا يا عشماوي، واليوم سأثأر لقبيلتي منك.

- عشماوي يقول: لا، أنا عمري ما أخون قبيلتي، واحنا اتفقنا وجيبتها لغاية عندك عشان تدينا الأمان، خُدها وخليني أخرج بدون انتقام.

الجميع ينظر والصدمة على وجوههم بعد ذلك الحوار.

- عشماوي يكمل: سامحني، أرجوك سامحني.

- ابن محرز الأحمر يوجِّه حديثه للفريق: إذا كُنتُم تريدون أن تَخرجوا من مدينتي بسلام اتركوا عشماوي لنا.

جسدهم يرتعش من الخوف ولا يستطيعون الحديث والرد عليه، وفجأة فُتِح باب المدينة وأسرع الجميع ناحية الباب بعد تخطِّيهم السلالم باحترافٍ شديد، خرجوا وعشماوي واقفٌ مُقيَّد، لا يقدر على الحركة والدموع تسيل على وجهه وقدماه ترتعشان من الخوف، يفكر فيما سيحدث له على يدِ ابن محرز الأحمر فهو لن يرحمه.

خير المعارك ما استطاع خلق فلسفةٍ جديدة للقيادة، هكذا بينت الحروب عند القدماء وهكذا سخَّر الفراعنة الجن لحمايتهم حتى بعد تركهم للحياة، خلقوا فلسلفةَ السِّحر القاتل والغامض وهما معنيان قويان، عاشوا حياتهم يفكرون فقط في الخلود وإنشاءِ مقابر ودفنِ ثرواتهم بجانبهم حتى يقدموها للإله ليعفو عنهم، هل كان يعيش بينهم الجان ويرونه؟ وهل عقدوا العديد من المصالحات معه حتى يعيشوا في سلام؟ أنواع كثيرة تختلف عن الأخرى لكنَّ المتفق عليه فيما بينهم أنهم خُلقوا يحاربون الإنسان على الأرض التي سلبت منهم، هل جاء وقت استردادها أم غفلةُ الإنسان ستقوده للهلاك؟ مغشيٌ عليه على الأرض، هلكت روحه من كثرة الصعاب، وُلِد من أجل الوسواس وليسَ للحياة، تُحاول أن تعيده لوعيه مرةً أخرى، حبيبة التي أفاقت والدموع والخوف يسيطِرانِ عليها، يدُها الصَّغيرة تحوَّلت لمطرقة تسحقُ صدره.

- وبصوت باكٍ: حسام فوق بالله عليك.

يعود النَّفس إلى شرايين صدره ويستفيق ويخرج زفيرًا كأنَّ روحه تخرج من جسده، تأتي بحقيبتها من على ظهرها وتفتَحها وتمسك محقنةً وتسحب الدواء من إحدى السِّرنجات وتحقِنُه بها في ذراعه الأيمن وتريحه على الأرض حتى يهدأ من تعبه.

- بصوتٍ متعب: انتي اديتيني إيه؟

- حبيبة تقول: حاجة عشان أقدر ألحق حالتك.

- حسام وهو مصدوم: ازاي مش فاهم؟

- حبيبة تكمل: أهدا، أنت لسه من دقيقة كان عندك ذبحة صدرية، والحقنة اللي أنقذتك، لازم تستريح من الكلام.

- حسام بغضب: أهدا ازاي أنا وكل يوم بكتشف حاجة مختلفة وبخش في حوارات مش بتاعتي؟!

- حبيبة بهدوء: معلش بس لازم تهدى عشان أنت معرض ليها تاني، مدام جاتلك واحنا تحت الأرض ممكن تجيلك تاني لأن كل ما بننزل ضغط الدم بينخفض وممكن يوصَّلك للموت.

حسام يحاول أن يَقف لكنَّ عدم الاتزان أقوى منه؛ لذا يستند على حبيبة.

- حبيبة مرتبكة: لازم تقدر تسند نفسك عشان نخرج من هنا دلوقتي، مينفعش نقعد أكتر من كده.

- حسام يقول: أنا قادر خلاص، بس نخرج ازاي؟

- حبيبة بتوترٍ واضح: أنا عارفة الطريق، يلَّا بسرعة.

حسام يستوقفها وهي تسير مسرعةً والغضب يسيطرُ عليه.

- حسام بغضب: فيه إيه؟! مالك فجأة عرفتي الطريق، وحاسِّك كده خايفة من حاجة، مش هتحرَّك من هنا غير لما أفهم.

- حبيبة مترجِّية: أرجوك يلا نخرج لأن وجودي هنا خطر عليا، وأبقى أحكي لك لما نخرج.

- حسام يرد: تمام، يلا خرجينا.

يذهبان بخطواتٍ مسرعة داخل أحد الممرات المظلمة، تتباطأ خطواتهما بسبب الظلام، حسام يسر مثل الكفيف رافعًا يده والظُّنون تلعبُ بعقله حولَ حبيبة التي تسير كأنها تحفظُ للمكان، وقفت عند باب فرعوني مُذهب تتحسَّس بيدها أعلاه ففتَح لتمسك بيد حسام وتدفعه للدَّاخل، ووقَف مذهول.

- وبصوت ملئ بالسخرية قال: انتي طلعتي أجمد مني.

نظرت له حبيبة والأنوثة تنيرُ ملامحها وتَابَعت السَّير داخل ممرٍ خشبي ضيق ويزداد ضيقًا كلما سِرتَ فيه، انتهيا منه وحسام يضغطُ صدره الموجوع وتشجعه حبيبة بكلامٍ حماسي لكي يستطيع السير على السلالم الحجرية التي تنتهي عند بابٍ يأتي منه ضوءُ نهار، ينظرُ حسام ويرى الحياة أمامه لكنَّه أصبحَ مثل العجوز الذِي يعاتِب الزمن على شبابه المهدور، يصعدُ على السلالم مُستنِدًا إلى حبيبة التي لم تتحمَّل قوة بنيانِه، تدفعه بكل قوه حتى وصلا إلى الباب ففتحته ودفعت حسام للخارج، وعند خروجها شيءٌ ما سَحبها للداخل وأُقفِل الباب، حسام يحاول مجاهدًا من الخارج أن يفتح الباب ومعه صوت صراخه يتعالى: حبيبة، حبيبة.

نظر حوله فَوجد نفسه في العزبة، استمرَّ يطرقُ الباب بقوة وهو يستعيد عافيته لكنَّه أحسَّ أنَّ الباب الخشبي أصبح حديدًا لا ينصهر.

(الصراع في العزبة ٢)

(لم يتنه الصراع) تلك الجملة التي تفوه بها إبراهيم وهو واقف بين مايكل ورجال عشماوي الذين فروا من مدينة ابن محرز الأحمر، الخوف على وجوههم غير مصدقين أنَّهم خارج مدينة الكهوف غير المعلومة، أحد الرجال يأتي من بعيد وهو يركض وبصوتٍ مغلَّفٍ بالتعجب يقول:

- الحقنا يا إبراهيم بيه، باب العزبة مقفول، الوحيد اللي قادر على فتحه هو عشماوي.

الصدمة تسيطر عليهم ومايكل يقول: يعنى إيه؟!

هنفضل محبوسين هنا مش هنعرف نخرج!!

- إبراهيم بغضب: اتصرفوا، خد الرجالة واكسروا فيه لغاية ما يتفتح.

صوت أنفاس حسام المتقطِّعة يُسمَع على بعد عشرة أمتار فيلتفتون إليه ويجدونه غير قادرٍ على التنفس وواقعٌ على الرمال، يندفع إليه رجال عشماوي فيحملونه ويبدؤون محاولات إفاقته.

- إبراهيم مستغربًا: حسام فوق، أنت لسه عايش!

- مايكل يتدخل: الحمدلله هنقدر نخرج، حسام هيفتح لينا الباب.

- حسام يفتح عينيه ويقول: حبيبة جوا المدينة، اتخطفت قبل ما نخش.

الصدمة تبدو عليهم، وإبراهيم يقول بغضب: ازاي سيبتها لوحدها، يعني محرز كان....

- حسام بتعب: بعد ما خرجنا حاجة شدتها لجوه والباب اتقفل ومعرفتش افتحه.

- مايكل بسخرية: يا نهار أبيض، واحنا معتمدين عليك تخرَّجنا من هنا.

- حسام باستغراب: مش فاهم!

- مايكل بصوت حزين: باب العزبة اتقفل ومحدش بيتحكم فيه غير عشماوي، وشكلنا هنموت هنا.

- حسام بغضب: كل واحد بيفكَّر في نفسه زي ما كنا جوا بالظبط، لازم نفكر ازاي نخرَّج البت الغلبانة دي من جوا.

- إبراهيم بهدوء: احنا لازم نهدى كده ونعدِّى اليوم ونبدأ نفكر ازاي نخرجها فعلًا، بس مستحيل، ابن محرز مش هيخرجها بالسَّاهل.

- حسام متسائلًا: مين ابن محرز؟! هو عشماوي فين صحيح؟!

ينظرون لبعضهم وبصوت منخفض ينطق أحدُهُم: عشماوي جوا المدينة، عشماوي طلع جان مش إنسان، وابن محرز ده ملِك قبيلته، ظهر وخرَّجنا وقعد يتكلم هو وعشماوي فحاجة مش فاهمينها.

- حسام: كنت واثق من أوِّل لحظة شوفته فيها.

- مايكل بخوف: يا جماعة لازم نخرج، ابن محرز مش هيسيبنا في العزبة بعد اللي عمله في عشماوي، وعفوه عننا وراه كارثة.

- حسام بحيرة: أنا قلت ليكم الجن الأحمر صعب ومؤذي، عشماوي وقَّعنا في فخ.

- إبراهيم مؤكدًا: فعلًا كلامك صح يا حسام، عشماوي كان طمعان في الآثار، وحبيبة كانت كبش فدا.

- حسام باستغراب: مش فاهم.

- إبراهيم يقول: مش وقته، احنا لازم نريَّح ونفكر هنعمل إيه.

الساعة العاشرة ليلًا والهدوء يسيطر على عزبة عشماوي، هم جالسون في مقر عشماوي ورجاله، مايكل نائم وإبراهيم يدخِّن سيجارته ويفكر فيما سيحدث، حسام جالسٌ بجوار كرم شقيق فيروز الذي يرقُد وجسده ساخن ويضع له كماداتٍ مثلَّجة على جبينه، ورجال عمشاوي يتوزَّعون في المقرّ وبجانبهم أسلحتهم الآلية، رائحةُ دخان تدخل من الشباك المطلِّ على العزبة يستنشقُها حسام الذي يندفع ناحية الشباك ليرى ما يحدُث ثمَّ يصرُخُ بصوتٍ عالٍ:

- العزبة بتولع.

لُيهرول الجميع للخارج وحسام يحمل كرم بين يديه ويركض للخارج، كثافة الدخان في العزبة كانت أقوى، أهالي العزبة والمشردون يهرولون مثل المجانين، النيران تزيدُ من سطوتِها على منازلِ العزبة الخشبية التي بدأت تستسلم لها وتنهار من شدة النيران، الجميع مندهش من المنظر وحسام قليل الحيلة يضع يده على وجه كرم ليحميه من الدخان ولكن لا فرار من حركة النيران التي سيطرت على ممرَّات ومداخل ومنازل العزبة، هو مشهدُ عبرةٍ لهم.

- إبراهيم بغضب: أنا قلت ليكم الصراع منتهاش، ابن محرز الأحمر مش هيسبنا.

- مايكل يبكي: مش عايز أموت أنا، سامحني يارب أنا غلطان.

حسام ينظر لهما ويُخرِج زفيرًا بقوة، ثمَّ يعطي الولد لمايكل ليحمله ويتجه حسام ناحية النيران ويقف بالقرب منها، ويقول بصوتٍ عالٍ: اطفوا النار.

الوسواس بدأ يتحكم في خلايا حسام الذي كعادته أمسك رأسه، وبصوتٍ عالٍ مرة أخرى صاح: سيطروا عليها، بقول لك اطفي.

تحكَّم حسام عن طريق الوسواس في النيران التي هدَّأت من انتقامها من أهالي العزبة، خمدت بعد أن أكلت الأخضر واليابس فيها، وحالةٌ من الهدوء والراحة انتابت الجميع، وحسام الحسرةُ على ملامِحه بسببِ ما يحدثُ له ويمرُّ بِه في حياته واستخدامه للوسواس رغم وعده لربه.

(سر مقتل شوقي ٤)

حلم تحطم، قتل مع سبق الإصرار والترصُّد، هل يُعقل أن أقتل أكثر شخصٍ ساعدني على الوصول إلى حلمي وتحققيه على أرض الواقع؟!

الآن مقيدٌ أنا بين أربعة حوائط متحطِّمة مثلي، غرفةٌ مظلمة، لا أتحدث مع أحد ولا أرى غير عسكري الخدمة الذي يحرسني من الخارج، أصبحت مريضًا نفسيًا بدرجة الامتياز بعد أن كنتُ أعالج المَرضى النَّفسيين من أمراضهم المعقدة، ونيسي وحدتي ببدلتي الحمراء أنتظر قرار النائب العام بإعدامي، لا أريد أن أرى أهلي حتَّى لا أشاهد الحسرة والقهر في أعينهم، لو يعطون لي فرصةً للصراخ وإخراجِ طاقتي السَّلبية كنت سأفعل شيئًا واحدًا فقط وهو الانتحار.

الدكتور كريم نائِمٌ على الأرض في غرفة والانعزَال عمَّا يحدث يأكُلُ روحه المهلكة، صوت قِفلِ باب الزنزانة يُفتح ويسمعُ خطوات أقدامٍ سمعها من قبل فيعتدل من مجلسه، ينظرُ فيجد أمامه المقدِّم حسين بركات مبتسمًا، وبصوتٍ منخفض يقول:

- ازيك يا دكتور كريم، عامل إيه؟!

- كريم بسخرية: ملهاش لازمة دكتور دلوقتي، الأحسن تقول لي ازيك يا متهم ولا أقول لك قول لي يا قاتل.

- حسين يقترب من كريم ويجلس معه على الأرض ويقول: ياريت كان ينفع، لو أنا متأكد إنك أنت القاتِل كنت فعلًا قلت ليك كده، بس للأسف مش أنت القاتل.

- كريم باستغراب: قصدك إيه؟

- حسين مبتسمًا: قصدي إن احنا قدرنا نحدِّد مكان حسام وطلع عايش.

- كريم والفرحة بادية على وجهه، ويقفز من مجلسه ويصرُخ مثل الطفل الناجح ويقول: بجد!! أنا مش مصدق، أنت أكيد بتهزر.

- حسين يردف: مش بهزر، وكمان قدِّمنا طلب للنائب العام لوقف تنفيذ العقوبة عليك، وفتح التحقيق من جديد وعملنا ضبط وإحضار لحسام.

- كريم يسجد على الأرض ويبكي ويقول: الحمدلله يارب، ألف حمد وشكر ليك، والله كنت واثق إن فرج ربنا قرَّب.

- حسين يُجيب: الصراحة مرضيتش أستنى، قلت لازم آجي أبلَّغك.

- كريم يأخذ شهيقًا: بجد مش عارف أشكرك ازاي يا سيادة المقدم على تعبك معايا.

- حسين مبتسمًا: ده واجبي ناحيتك، بس فيه سؤال ولازم تجاوبني عليه بصراحة.

- كريم بقلق: اتفضل يا حسين بيه.

- حسين يسأل: تتوقَّع مين يبقى الوسواس.

- كريم باستغراب: الصراحة معرفش وصعب تحدد، لما حُسام خَرج من الحارة مِسكته اللعنة يعني ممكن يكون شخص من داخل الحارة أو خارِجها، وممكن يكون حسام نفسه.

- حسين بحيرة: لو حسام، هيستفاد إيه من قتل شوقي؟!

- كريم مبتسمًا: ده بقى اللغز، والحيرة أكتر إن دكتور شوقي مش بيخبي عني حاجة، يعني لو كان فيه سر تاني كان قاله ليا.

- حسين يُحاوِلُ التقاطَ أَنفَاسِه: على العموم احنا قرَّبنا لكل الخيوط، وكل واحد هيبان على حقيقته.

بعدها خَرج حسين من الزنزانة وأقفَل الباب وهو يسيرُ في أروقة السِّجن وسمع صوتَ كريم يصرخ ويقول: مش عايز أموت، الحقوني.

ركض حسين سريعًا حسين وبجواره ضبَّاط الحراسة، فتحوا باب الزنزانة فوجدوا كريم مكبَّل اليدين ومشنوقًا بقماش الأرضية الذي كان ينام عليه، اندفع إليه حسين يحاول أن يساعده، أمسك برأسه كريم وهو يلفظُ أنفاس الوداع ويريد التحدث، وقال بصعوبة الوسواس يبقى ف.ح.ب.ع.

لم يفهم حسين الحروف التي نطقها كريم قبل أن تصعد روحه للسماء وتترك جسدًا هزيلًا مهجورًا في الحياة.

(فلاش باك)

حسين جالسٌ في مكتبة والحيرة تقتله يوميًا، يخاف من الله أن تُقتل نفس بدون حق ويكون سببًا في قتلها، تحاولُ روحه في محاولةٍ فاشلة الوصول للغز مقتل شوقي أو الوصول إلى مكانِ حسام لإحضاره لكي يستطيعَ وقف تنفيذِ العقوبة على كريم وفتح التحقيق من جديد في القضية، يتدخل صوت عسكري الحراسة فيقطعُ تفكيره التائه.

- العسكري بصوت عالي: يا حسين بيه، حسين بيه.

- ينتفضُ حسين عن الكرسي: فيه إيه يا ابني؟

- العسكري يقول: أنا داخل على ساعة واقف بنده على حضرتك.

- حسين بغضب: في إيه اؤمر؟

- العسكري بخوف: فيه بنت برا عايزة تقابل حضرتك.

- حسين يردف: دخَّلها نشوفها عايزة إيه.

خرج العسكري، ثمَّ دخلت البنت وهي تنظر في المكان والقلق والخوف واضحان عليها.

- حسين بصوتٍ منخفض: اتفضلي، عايزة إيه؟

- البنت بقلق: أنا جاية لك بخصوص حسام.

- نظر إليها حسين وملامحه تتغيَّر بسبب الصدمة: انتي مين؟ وعارفه حسام منين؟

- البنت: أنا اسمي فيروز.

الاستغراب ظاهِر على ملامح حسين، وهو ينظر إليها مترقبًا بقية حديثها.

- فيروز تُكمل: أنا عارفه حسام من مدة، لما لقيته في الشَّارع مشرَّد وخدته معايا العزبة، بس هو دلوقتي في خطر كبير وهو كان حكى لي عن الدكتور شوقي ولما رحت المستشفى قالوا ليا إنه مات، عرفت إن حضرتك ماسك قضية مقتله فقلت أكيد هتفيدني.

- كان حسين يُنصِتُ لها وبصوتٍ منخفض قال: أنا عايزك تحكي ليا كل حاجة، ومتخافيش هساعدك بس بدون كدب.

روت له فيروز ما حدث مع حسام حتى آخر لقاء، ومقتلها المزيَّف المتَّفق عليه مع عشماوي وإبراهيم المحامي لِيجبروا حسام على الدخول معهما إلى مدينة الجن.

- حسين باستغراب: يعنى إبراهيم المحامي معاهم، انتي متأكدة من المعلومة دي؟!

- فيروز مؤكدة: أيوه، وعايزين يسرقوا آثار المدينة عشان يبيعوها، واستغلوا قدرة حسام السحرية فكده.

- حسين بضحك هيستيري: يا ابن اللذينا يا إبراهيم، وجاي عندي تحكيلي وتديني فلاشة عشان مشكش فيك.

- فيروز باستغراب: مش فاهمة.

- حسين بروحٍ منتصرة: حاليًا بشكرك بس أنا لازم أتحفَّظ عليكي هنا، هروح آخد شوية إجراءات وآجي لك عشان يومين بالظَّبط وهنقتحم عزبة عشماوي.

(صراع العزبة ٣)

كعادتها فالصِّراع لم ينته بعد، النِّيران هشِّمت كل شيء كان يتواجد بها من منازل وأشجار، رمالُها أَصبحت حطامًا أسود، ظلوًّا أكثر من سنة يعيشون في سلام منذ ظهور عشماوي والسيطرة على أتباع ابن محرز الأحمر الذي يحاول بكافَّة الطرق أن يُبعِد أهل العزبة عنها كيلا يفكِّر أحدهم في دخول مدينته المحروسة (مدينة الجن)، وجاءت المفاجأة بخضوع عشماوي لابن محرز الأحمر ورجوعه لقبيلته للعقاب، هنا لم تكن النهاية بل البداية فأتباع الجان يعيشون على خراب ودمار الأرض البشرية منذ الأزل.

النَّاس يعيشون في عزبةٍ بعيدة عن العالم الخارجي، بلا مأوى، بلا خدمات إنسانية ويريدون فقط النوم والأكل، لماذا يعبث الجان معهم رغم ضعفهم المديد، هُم لا يؤذون أحدًا ودائمًا يخافون مدينته لأنهم يعلمون نتيجة دخولها وهو الاختفاء، السؤال المحير هو: لماذا يتمسَّك أهل العزبة بالعيش فيها رغم تهديدات ابن محرز الأحمر لهم وإِشعاله النيران في العِزبة وتخريبِها؟!

سؤالٌ يُحير ويؤدي لفقدان العقل أحيانًا لكن لكلِّ حياة أملٌ بسيط يعيش عليه البسطاء، وهم المشردون الذين يعيشون فيها منذ سنين ولا يعلمُ أيُّ شخصٍ بحالهم، هربوا من واقعٍ أليمٍ بالخارج إلى واقعٍ أفظع، لا تشغلهم الحياة كثيرًا لذلك يحاربون ابن محرز الأحمر بضعفهم الباهت على رعشة أقدامِهم عند إحساسهم بالخطر؛ لذلك جاء وقتُ وضع حدٍ لهذه الجريمة الكبرى في حقِّ المجتمع وهو انتهاءُ الصِّراع في عزبة عشماوي.

ضوءُ النَّهار يبدأُ بالسُّطوع فوق العزبة جالسين على الأرض مثل اللاجئين الذين لا يجدون مأوىً يحتمون فيه، البردُ قارس في أنحائِها وكل شيءٍ تدمَّر بفِعلِ النيران، الشُّحوم على وجوهِهم وحتَّى الأسلحة التي كان يحتمي بها رجال عشماوي أصبحت هشَّة غير نافعة، حسام يحملُ بين أحضانه كرم المريض الذي يعيش في صراعٍ آخر بمفرده، صراع مع السرطان!

السماء بدأت فيها حالة من الحُزن والغيُوم المحمرَّة تسيطرُ عليها، رفعوا رؤوسهم والخوفُ على ملامِحهم يسألون أنفسهم: ماذا يحدث للسماء؟ حسام يقف ويطلبُ منهم الاحتماء ببعضِهم مثل دائرةٍ لا يخرجُ منها أحد، وبالفعل وقفَ الأهالي بجانبِ بعضِهم يمسكون بأيدي بعضِهم البَعض ويحتمون ببعضهم والغموم الحمراء سيطرَت على سماءِ العزبة التي تحولت رعبًا في قلوب أهلها، فجأة سمعوا صوتًا يحدِّثهم:

(متخافوش، دي نهايتكم اللي لازم تكون النهارده، اتأجلت كتير بسبب عشماوي الجن الخارج من قبيلتنا، المطرود فاكر نفسه إنه قدر يحميكم، دلوقتي مين هيحميكم)

الجميع يتخبَّط من الخوف، ينظرون حولهم ويبحثون عن مصدر الصوت فلم يجدوا شخصًا حتَّى ظهرَ لهُم ابن محرز الأحمر على هيئة عشماوي المعاقب، فتراجعوا للخلف والصدمة على وجوههم، حسام يُمسك بالطفل وإبراهيم ومايكل واقفان وسط أهل العزبة.

- عشماوي بسخرية: انتوا فاكرين إني عشماوي طبَعًا، لا متصدقوش، أنا ابن محرز الأحمر ملك ملوك الجن.

أجسادهم ترتعش خوفًا منه وحسام يعطى الطفل لأحدِ الأشخاص الواقفين بجواره ثمَّ خطى خطوتين ناحية ابن محرز.

- حسام يقُول: السلام بينتا، واحنا بنختار السلام، سيب الناس تمشي وكل واحد يعيش في حالة.

- ابن محرز ضاحكًا: لا مفيش سلام بيننا وبينكم يا حسام، اوعى تفتكر إن الوسواس هيحميك مني، أنت من اللحظة دي فقدت قوتك عشان أنا اللي بعطي ليك القوة دي.

حسام والصدمة تسيطِرُ عليه وغير مصدقٍ حديثَ ابن محرز، يحاول أن يحاور الوسواس في رأسه ولكن دون فائدة فيرجعُ للخلفِ مرةً أخْرى.

- ابن محرز بسخرية: صدَّقت يا حسام؟!

- حسام بقلق: لا، أنا بملك لسه القوة والوسواس معايا.

- ابن محرز يرد: فرَّجني على قوتك.

حسام واقفٌ لا يفعلُ شيئًا والجميع ينظر له ونظراتهم تقتله، غاب الوسواس فغابت كل قوته، واختفى الكتيب ذا الغلافِ الأسود أيضًا، وليس مع أحدٍ الآن.

- ابن محرز بصوتٍ مرعب:

طلبت منكم الخروج من العزبة مش عايزين تخرجوا، قوة قلوبكم عشماوي اللي حاول ينشئ مملكته الخاصة وخرج عن طوعي، متلوموش غير نفسكم، أنا دورس إني أحمي المدينة من أطماعكم والعزبة دي ملك الجن وقبيلتي، لازم محدش يكون فيها غيرنا.

- الجميع سمع ولم يرد، ابن محرز تتحول عيناه للَّون الأحمر وتشبه النار المشتعلة، صوته يتحول لشيطانٍ ليس فقط طُرِد من رحمة ربِّه بل غير مؤمن سوى بالدم وقال:

انتوا اللي هترحموا نفسكم بإيديكم، باب العزبة اتفتح وهتعرفوا تخرجوا، اخرجوا ولو معرفتوش يبقى تتحرقوا بالنار.

الجميع ينظرون له ولم يفهموا ما يقصد حتَّى بدأت النيران تشتعل في العزبة بالعرض وطولها تخطى عشرة أمتار، نارٌ ملتهبة ينصهرُ ما يدخلها في ثوانٍ معدودة، يرجِعُون للخلف والنيران تُحيطهم، لا مفرَّ أمامهم سوى البدء في لعبة ابن محرز معهم وأن يحاولوا الهروب من النيران،

الدُّخان كثيف أمَّا الاختناق فيهجم على أقفاصِهم الصدرية، منهم من يقعُ على الأرض من شدَّة الحرارة والدخان والآخر يحاول الفرار ويدخل بين النار فيحترق، عذابٌ لم يعلمْه أهلُ العذاب في يوم غاب الوسواس وغابت القوة والهيمنة عن حسام الذي يحتضنُ كرم شقيق فيروز ويلتقِطُ أنفاسه بصورة متعبة نتيجة الذبحة الصدرية التي أضعَفَت أنفاسه وأثقلت روحه، يريدُ الفرار لكن عدم التوازن كان أقوى منه، إبراهيم يلهثُ مثلَ المجنون بينَ أهلِ العِزبة الذين يهرجون ويمرجون في مكانهم، النار والموت يحيطانِ بِهِمَا في كلِّ مكان.

مايكل يجلسُ في مكانِه ويبكي، يستسلمُ للموت وينتظرُ فقط أمر الله بالراحة الأبدية التي ترحمه من نار ابن محرز والنيرانُ في تزايدٍ مستمر، أهلُ العزبة يحترقون، ماتَ الكثيرُ منهم والجُثث متفحِّمة في النيران الملتهبة، لم يتبق غير القليل الذي يحاولُ أن يتحمَّل الحرَارة والدُّخان الأسود، وفجأة يتصاعدُ صوتُ رجلٍ قادمٍ من وسط النيران يردِّد آياتٍ من القرآن الكريم بصوتٍ عالٍ:

{وَاتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ الشَّيَاطِينُ عَلَىَ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَآ أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىَ يَقُولاَ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلاَ تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ}

[البقرة:١٠٢].

النيران تهبط وينظرون لمن هو قادم من بعيد فيجدون رجلًا مسنًا بشعرٍ كثيف ولحيةٍ كثيفة، يرتدى جلبابًا ممزَّقًا، اختفت النِّيران من العزبة والرجل ينظر إليهم وهو يهز رأسه ويضغطُ على عصاه ويستدير ويبدأُ في السَّير وبصوتٍ عالٍ يتلو:

{اللّهُ لاَ إِلَهَ إِلاّ هُوَ الْحَيّ الْقَيّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ لّهُ مَا فِي السّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَن ذَا الّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مّنْ عِلْمِهِ إِلاّ بِمَا شَآءَ وَسِعَ كُرْسِيّهُ السّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيّ الْعَظِيمُ * لاَ إِكْرَاهَ فِي الدّينِ قَد تّبَيّنَ الرّشْدُ مِنَ الْغَيّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * اللّهُ وَلِيّ الّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُمْ مّنَ الظّلُمَاتِ إِلَى النّورِ وَالّذِينَ كَفَرُواْ أَوْلِيَآؤُهُمُ الطّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مّنَ النّورِ إِلَى الظّلُمَاتِ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}

[البقرة: ٢٥٥-٢٥٨]

يستمرُّ بترديدِ آيةِ الكرسي ويذهب بعيدًا عن أعين المتبقين من أهل العزبة، يستريحُ على الأرض، والشحومُ على وجوههم وحُسام يحتضن كرم بشدة وأنفاسه تهدِّئ من صراعاتها بعد اختفاءِ النِّيران والدخان، لم يتبق الكثير من أهلِ العزبة إلَّا عشرات جالسين والبقية جثثٌ متفحمة بجوارهم، حسام ينظر والدَّمع ينهمر من عينيه ويبكي بألم على ما حدث ولعدم قدرته على إنقاذهم من ابن محرز، وبصوتٍ عالٍ بدأَ يصرُخ:

- ارتحت يا إبراهيم؟ ذنبها إيه الناس دي؟

- إبراهيم يرد: أنا إيه ذنبي؟

اتفاقي كان على الآثار، مكنتش أعرف الحوارات دي.

- حسام بغضب: ازاي؟! أنت أكيد كنت عارف حقيقة عشماوي.

- إبراهيم بغضب أيضًا: والله ما كنت أعرف حتى اسأل مايكل.

- مايكل يتدخل في سير الحوار: فعلًا يا حسام هو مكانش يعرف، احنا لازم نخرج من هنا بسرعة.

- حسام بسخرية: أنت كده خايف من الموت اللي هو أصلًا جايلك في أي وقت، اتفضل امشي.

- إبراهيم بحيرة: لازم تهدى يا حسام عشان نعرف نتكلم.

- حسام ينظرُ ناحيَة ذهب الرجل المسن: مين الراجل ده؟ جه منين؟!

- إبراهيم مؤكدًا: حسام عنده حق، لازم نعرف مين الراجل واختفى ليه.

- مايكل يَسير والخوف يُحرِّكُ قدميه وبصوت عالٍ قال: خليكم انتوا قاعدين فكروا في الراجل، أنا همشي، مع السَّلامة.

في لحظة سيره وقع مغشيًا عليه، اندفع إليه حسام وإبراهيم وأمسكا به يحاولان إفاقته ولكن دون فائدة فقد انقطعت أنفاسُه.

- إبراهيم بحزن: للأسف مات، البقاء لله!

- حسام يقولُ وهو يحمله: أنا قلت لك الموت مش بيستنى حد، مشيت عشان يطول عمرك مت.

وضعاه بجانب جثث أهل العزبة المتفحمة، وذهب حسام بجانب كرم ليطمئن عليه وبصوتٍ عالٍ قال:

المرة دي لازم تمشوا، كفاية اللي جرا ليكم، كلنا هنخرج من هنا يلا.

يسيرون وأمامهم حسام ناحية باب العزبة الذي سيخرجون من خلاله، وصلوا وطَلب حُسام من أهلِ العزبة الخروج أولًا وإبراهيم بجواره يحمل كرم على كتفه، خرجَ أهل العزبة منهَا بعدها طلب حسام من إبراهيم أن يخرج بمفرده.

- إبراهيم منفعلًا: مستحيل أسيبك هنا لوحدك.

- حسام يقول: فيه بنت أنقذتني من الموت وأنا مينفعش أخرج من غيرها، لاوم تكون قبلي بره.

- إبراهيم بغضب: أنت دلوقتي ممكن تفهِّمني هتنقذها ازاي، أنت أصلًا مش عارف مكانها؟

- حسام مبتسمًا: اخرج ومتشيلش همي، مش فارق معايا كتير، هنا زي بره وأنا هقدر أوصل لها، متقلقش.

بعد إصرارِ حسام خرج إبراهيم من باب العزبة وهو يحملُ كرم بعد أن أوصاه حسام علي مساعدته في علاجه، ونظر إلى العزبة وبدأ في السير.

خرجَ أهالي عزبة عشماوي منها بعد أكثر من خمسين سنة يسكنونها وتصارعهم قبيلة ابن محرز الأحمر، في النهاية انتصر الجان على البشر بقوة نارهم التي ألهبت الأهالي وأحرقتهم ببطء، حسام يسيرُ ناحية مدينة الجن مرة أخرى ويفكر في طريقةٍ للدخول لإنقاذِ حبيبة التي جعلته يتنفَّس بعد موتٍ محقَّق بخبرتها الطبيَّة، الخوفُ سكن قلبة فهو يعلم مدى قوة قبيلة ابن محرز الأحمر وسيطرتهم على الوسواس الذي يملكه حسام وأنَّه يذهبُ للموت بقدمين خائفتين، التُّردد من الوسواس يسيطر على عقله، يريدُ أن يبعِده عن تلك المدينة الحمقاء التي لا ترحم من يدخلها لكنَّ قلبه يتدخل في النِّقاش ويحوِّل مساره للدخول من أجل الإنسانة التي أنقذته من الموت، طيبةُ قلبه دائمًا تُجبِره على المتاعب والمصاعب، هذه حياته منذ إدراكه لمعنى الحياة وزادت أكثر بعد دخوله لحارة الوسواس، وتغيَّر لمراحل متفرقة منها الشر ومنها الخير.

ينظرُ إلى فتحةِ البئر السفلي ويبتلع ريقه، الوسواس أصبح أجبن من حسام، يحدثه في عقله ويريد أن يبتعد عن تلك الجريمة المرتكبة في حق نفسه فيقف على بعد أمتار قدماه ثقيلتان وتكرهان الذَّهاب والقفز داخل البئر السفلي، يسمع صوتًا منخفضًا يحدِّثه فيلتفتُ يمينًا ويسارًا ولم يجد أحد، يرجعُ للخلف فيصطدم بأحدٍ يستدير ليجد الرجل المسن الذي أنقذهم من نيران ابن محرز يحدِّق بعينيه وبصوتٍ خائفٍ سأل:

- أنت مين؟

- الرجل وهو يضغطُ على عصاه ويبتسم ويقول: أنا عمَّك الشيخ مصطفى.

- حسام باستغراب: مخرجتش ليه مع الناس ياعم الشيخ؟

- الشيخ ضاحكًا: أنا مينفعش أخرج من هنا يا ابني بعد العمر ده كله، أنا من أول الناس اللي دخلت العزبة وهموت هنا.

- حسام يسأل: ومش خايف من ابن محرز؟

- الشيخ بضحك هيستيري: يا جدع ده حتى أنا اللي أنقذتك طول الكلام ده.

- حسام مبتسمًا: صحيح، فعلًا سؤال غبي مني.

- الشيخ يعقب: أنا بقى اللي بسالك: أنت ممشيتش معاهم ليه؟!

- حسام بصوتٍ خائف: أنا للأسف مينفعش أمشي، لازم أخش مدينة الجن تاني عشان أنقذ حبيبة.

- الشيخ باستغراب: مدينة جن إيه يا ابني اللي بتتكلم عليها؟

- حسام بقلق: المدينة بتاعت ابن محرز الأحمر، بننزل ليها من هنا بالبير ده.

- الشيخ بضحكات هيستيرية: بير إيه يا ابني، أولًا ده بير ميه بيشرب منه أهل العزبة، ثانيًا مفيش حاجة اسمها مدينة الجن.

- حسام بغضب: ازاي ده أنا دخلتها بنفسي؟!

ومن المكان ده كمان، متجننيش.

اندفع ونظر داخل البئر فوجد المياه فائضةً على أوله وتحسسها فتبللت يديه، رجع للخلف ونبضاتُ قلبه تتزايد من قوة الصدمة، ونظر مرة أخرى للرجل المسن.

- حسام بحيرة: أنا مبقتش فاهم حاجة، ازاي؟ طيب حبيبة اللي جوا؟

بلاش كل ده، النار اللي أنت أنقذتنا منها، ابن محرز اللي ظهر على شكل عشماوي وشفناه كلنا، كل ده محصلش برضو؟!

- الشيخ يجلس على صخرة ويضع عصاه بجواره ويقول: الحقيقة مش عارف أقول لك إيه، بس اللي حصل في أهل العزبة ده نتيجة بعدهم عن الواحد الأحد الذي لا يموت، عزبة كلها مشردين ويا ريتهم كده بس لا حرامية ولصوص وبيمارسوا كلّ حرام بدون خوف، بيسرقوا من برا ويحطوا جوا تحت رحمة عشماوي اللي في الآخر خضع لابن محرز الأحمر.

- الصدمة بادية على حسام الذي يقاطعه: يعني عشماوي خضع ليه، طب ازاي ودخلنا مدينة الجن ليه؟

- الشيخ ضاحكًا: عشان حبيبة اللي أنت داخل عشان تنقذها.
- حسام بحيرة: مش فاهم حاجة.

- الشيخ يقاطعه: حبيبة كانت معشوقة ابن محرز الأحمر، قدر هو وعشماوي إنهم يجيبوها بوَهم مدينة الجن عشان ابن محرز يملكها وهي دوقتي فعلًا ملكه، عشماوي كان عايز رضا ابن محرز وإنه يسامحه فاتفق معاه إنه

ينفذ طلباته اللي هي إنه يوهم إبراهيم إن فيه آثار ويجيب معاه حبيبة وتدخل مكانه وبكده ابن محرز ياخدها وده مقابل العفو، متتعبش نفسك هما رسموا الخطة وانتفدت، معلش بقى اللي دفع التمن أهل العزبة وأنت.

- حسام وهو يضحك ضحكات متقطعة بها نوع من السخرية: أنا بجد مش مصدق اللي حصل ده كله، لما كنَّا جوا هي اللي خرجتني من المدينة وكانت حافظة المكان، استغربت من فعلها بعدها اتشدِّت، أنا دماغي هتتشل من كتر التفكير.

- الشيخ يقاطعه: مكانتش هي، أكيد ده ابن محرز هو صعب وبيتلون بكذا شخصية، ومن أهل النار اللي ربنا غاضب عليهم وبيكره الإنسان.

- الشيخ يُكمل بعد أن أخرج زفيرًا: بس فيه حاجه لازم تعرفها: ابن محرز فعلًا يملك مدينة داخل العزبة بس محدش عارف مكانها فين، عشان كده العزبة دي مهجورة من مئات السنين بسببه، ولما جه الناس بدأ يحارب فيهم.

- حسام بحيرة: طب أنا دوري كان إيه معاهم؟! ده اللي هيجنني.

- الشيخ وملامحه تتغير: أنت الوسواس يا حسام، صراع ابن محرز والوسواس عمره ما هينتهي.

فجأة اختفى الشيخ من أمام عيْنَي حُسام الذي ثَارَ مثل المجنون وصرخ ونادى عليه حتَّى أحسَّ حُسام بيدٍ توضعُ على كتفِه وتمسك كلتا يديه وتضع بهما الكلبشات، وتمَّ تغطيةُ عينيه بقماشةٍ سوداء ثمَّ قالَ الفَاعِل:

- مطلوب القبض عليك يا حسام، دوَّختنا يا راجل.

- من القاتل؟

القلب أثقلته همومه ولم يتحمل الاستمرار في الحياة، أعطوني فرصة واحدة للفرار وأعدكم بالانتحار في ظرفِ ثانيةٍ واحدة، لم تحبني الحياة وتكرهني، منذُ الصَّرخة الأولى تركوني بمفردي، أبي وأمي أين أنتم؟!

لماذا ذهبتم؟!

أنا لستُ الابن المدلَّل لكما والوحيد، أتذكَّر ليالينا عندما كنت في الثانية عشر من عمري أشاهدُ مسلسلي المفضَّل عبر التلفاز وأنتما جالسان بجواري أنفاسُكما امتلأ بها المنزل، جاء وقت الجِراح والخوف والوحدة عند موتكما فلم أعلم مدى الفراغ القاتل الذي يقتلُ قلبي يوميًا، عند هلاوسي السمعية بأنني أسمع صوتكما أنتفض مثل المجنون فأبحث عنكما في المنزل وأكتشفُ أنه بالفعل سراب ووهم مخزٍ أخضعني للمرة المليون، لكن في الحقيقة أنا مريضٌ بالوسواس القهري؛ ذلك المرض الذي فاجأ خلايا عقلي واستمرَّ يأكلُ نبضات رأسي حتى أخضعَ لأفعاله، اتركني أيها الأحمق لأتفرَّغ لحياتي المحبَّبة إلي، لم تكن وحيدًا بل ستعيش موسوسًا قاتلًا.

زنزانة اعتاد عليها، الاستغراب لم يظهر على ملامحه لأنه كان يعلم مصيره وهو الإعدام، حسام يجلسُ في الزنزانة الانفرادية ويحركُ رأسه ببطء ناحية اليمين ثمَّ اليسار وعيناه جاحظتان أوقاتًا كثيرة، عروق يديه بارزة وقد عادَت له حالة الوسواس العادية التي اعتاد عليها منذ الصغر، بعد أن شُفي منها منذ خروجه من حارة الوسواس واكتساب جسده للعنة الوسواس، لكن هناك شيءٌ غريب فوجع مرضه يرجع مرة أخرى بنفس تشنجاته السابقة، ويفركُ فروة رأسه الكثيفة التي سيطرت عليها الحشرات.

فُتِح باب الزنزانة ودخل العسكري ثمّ أمسكه من كتفه الأيمن وسار معه للخارج حتَّى وصلا إلى غرفةٍ بها كرسي ومكتب، فأجلسَهُ على الكرسي وأغلق باب الغرفة،

وفجأة سمعَ صوت حسين بركات يقول:

- لسه مش عايز تتكلم يا حسام وتحكي؟

حسام يلتفت وينكمش بجسده على الكرسي ولم يرد، فيقترب حسين منه وينظر لوجهه المخيف.

- حسين بصوتٍ هادئ: لازم تتكلم معايا عشان أقدر أساعدك، أنا مقدَّر الحالة اللي أنت فيها بس لازم تتكلم.

- حسام ينظر له ويهمس بصوتٍ منخفض: هتموتني، صح؟!

- حسين بصوتٍ منخفض: مش هتموت لو اتكلمت.

- حسام يرفع رأسه ويسأل: أنت عايز تعرف إيه؟

- حسين يبتعد عنه ويسأل: مين قتل شوقي وكريم؟

- ليبكي حُسام وبصوتٍ منخفض يردّ: معرفش، والله ما أعرف غير منك.

- حسين بحيرة: مش أنت الوسواس، يبقى مفيش غيرك، ازاي متعرفش فهمني؟!

- حسام بغضب: أنا مش الزفت الوسواس، كانت لعنة وراحت، مكنتش بستخدمها غير في الخير.

- حسين يقاطعه: يبقى مين اللي قتلهم؟ ممكن تفهمني؟

- حسام وهو يبكي بشدة: والله معرفش، بقول لك معرفش، لازم تصدقني.

- حسين يقول: طيب أنا هوريك شخص ممكن لما تشوفه تعترف بالحقيقة.

بدا القلق على ملامح حسام، وذهب حسين ناحية الباب وفتحه وبصوتٍ عال قال:

- خشي يا فيروز.

حسام غير مصدِّق لما سمعته أذنيه، التفت ليجد فيروز بالفِعل قادمة ووقفت بجواره.

- فيروز بصوت هادئ: ازيك يا حسام.

- حسام يقف ويمسك يدها اليمنى: فيروز، انتي مموتيش؟!

- فيروز تقول: لا يا حسام، أنا عايشة قدامك أهو.

- حسام بحيرة: ازاي؟! انتي موتتي قدامي.

روت له فيروز ما حدث من اتفاق مع عشماوي وتهديده لها بسبب أخيها كرم المريض، وأنَّها لجأت إلى المقدم حسين خوفًا عليه من عشماوي ومدينة الجن وهي من أبلغت عن مكان العزبة.

- حسام بضحكات هيستيرية: أنا عايش بس عشان يتضحك عليا، تصدقي فعلًا أنا بكرهكم.

- فيروز تقاطعه: أرجوك متظلمنيش، كان غصب عني.

- حسام بسخرية: انتي بقى معرفتيش إن أصلًا عشماوي كان متفق مع ابن محرز الأحمر ملك ملوك الجن، وكل الحوار ده عشان بنت عشقها وكان حابب يجيبها وياخدها.

- فيروز باستغراب: أنا عرفت من الشيخ مصطفى.

- حسام بسخرية: كمان عارفه الشيخ مصطفى، أنا مغفل كبير ولله.

- فيروز بغضب: كفاية استخفاف بيَّا، الشيخ مصطفى لسه عارفاه من وقت دخولك المدينة، كنت أول مرة أشوفه.

- حسام مصدومًا: ازاي؟! هو قال لي إنُّه من أهل العزبة من زمان!

- فيروز بنفي: لا، ده أول شفته كان يوم دخولك المدينة.

- حسام يقول: عايزة إيه انتي دلوقتي، أعتقد خلاص مهمتك خلصت اتفضلي مع السلامة.

- فيروز بنظرة وداع: أنا جاية بس أشكرك عشان وقوفك جنب أخويا، وأمشي مش هطوِّل، مع السلامة.

انصرفت فيروز وجلسَ حسام على الكرسي يتحسَّر مع روحه على ما حدث له في عزبة عشماوي وخضوعه مع الكثير حتَّى دخل عليه حسين مرة أخرى، وسأله:

- لسه مش عايز تتكلم يا حسام؟!

أنت على العموم هتتحول لمستشفى الأمراض النفسية وتحت حراسة شديدة، اتفضَّل مع الرِّجالة.

غطَّوا عينيه بقماشةٍ سوداء وقيَّدوا يديه بالكلبشات، ثمَّ أمسكوه وخرجوا به للذهاب لمشفى الأمراض النفسية.

(مستشفى الأمراض النفسية)

مضى الوقت ورجعتُ مرة أخرى إلى سجني الصغير في مشفى الأمراض النفسية، قصص وحكايات غريبة يعيشها المرضى ليلًا في ذلك المكان المخيف الذي يسيطر عليه الظَّلام بداية من الساعة الثامنة مساءً حيثُ يدخلُ المرضي غرفهم يجلسون ويشردون في حكاياهُم المميتة التي جاءت بهم إلى المشفى، ومن الجانب الآخر يختفي الأطبَّاء والممرضون من ساحات المكان ولا نراهم إلَّا في الصباح وهم يصرخون في وجوهنا كي نستيقظ لتناول وجبة الفطار، وأجلس وحيدًا بينهم لا أتحدث مع أحد، أرتدي ملابسي البيضاء وأنظر إليها برفق لأنها الوحيدة التي تتحملني، تخيَّلوا معي أنَّ أوفى ما لك في الحياة هي ملابسك فتحافظُ عليك وتحمِي جسدك حتى لا ينكشف للغير، هل يوجد شخص يعيش بدونها؟! بالفعل لا؛ لذا ارعوها كثيرًا واهتموا بها لأنَّها تستحوذُ على الجزءِ الأكبر من شخصكم العزيز.

حسام جالِسٌ في غرفته التي تتكون من سريرٍ ينام عليه طوال ليله البائس، يُحرِّك رأسه مثل المجنون الخائف من شيءٍ ما، ويدٌ توضعُ على كتفه وتمسكه، وصوتٌ منخفضٌ يقول:

- متخافش يا ابني، زي ما فيه الشر فيه الخير.

ليستدير بكامل جسده فيجد أمامه الشيخ مصطفى يبتسمُ ووجهُه يُشعُّ منه نورٌ أبيض.

- حسام بصوت منخفض: الشيخ مصطفى، أنت دخلت هنا ازاي؟!

- الشيخ مصطفى مبتسمًا: أنا عمري ما فارقتك يا حسام لحظة واحدة، بس جه الوقت إنِّي أظهرلك.

- حسام بحيرة: أنت مين بالظبط؟!

- الشيخ مصطفى يجيب: أنا الوسواس يا حسام.

- حسام والصدمة على ملامحه: ازاي؟! يعني أنت اللي قتلت شوقي وكريم؟!

- الشيخ ضاحكًا: أنا مبقتلش يا حسام، وسواس الخير عمره ما يعمل الغلط، أنا الصح اللي جواك؛ ساعدك في الحارة إنَّك متلحدش وتسمع كلام شيزارا، وفضلت وراك أحافظ عليك من الوسواس القاتل، كنا أنا وهو في صراع كبير عليك وفي الآخر انتصرت لما نجِّيتك من ابن محرز ونجِّيتك من الشر في الحارة، وخليت الخير وتأنيب الضمير جزء منك.

- حسام يسمع وهو غير مصدِّق حديثه ويبكي بلوعة: أنا ليه حصل لي كده طول حياتي بسبب مرض مليش ذنب فيه؟!

- الشيخ يردّ: لا يا حسام، كل شخص جوَّاه وسواس خير وشر، والقريب من ربه عمره ما يخالف، مرضك مش ذنب ده اختبار منه بس أنت دفعت ذنب مش ذنبك وهو دراسة علمية سخيفة اتنفِّذت عليك من الدكتور شوقي.

- حسام باستغراب: مش فاهم؟!

- الشيخ يكمل: شوقي كان إنسان مريض بالسحر وكان شبه ملحد غير مؤمن بالله، لما أنت روحت له وأنت صغيَّر حالتك بالنسبة ليه كانت نادرة عشان مفيش حد في سنك بيبقى مريض بالوسواس فبدأ يعمل دراسة عليك شديدة الخطورة وهي ربط السحر الأسود بالمرض النفسي، قدر إنُّه يسخَّر ابن محرز الأحمر وقبيلته للخضوع لأوامره ومن خلالهم قدر يسيطر عليك عن طريق سحره اللي ظهر في مرضك، ونفِّذ أول تجربة عليك وهي دخولك حارة الوسواس وخضوعك لشيزارا وقوانينها، وحاولوا بكل الطرق إنَّك تلحد وسخَّروا ليك كل شيء حرام لكن مقدروش؛ لأن لو كانت نجحت تجربتهم معاك كان هيبدأ ينفذها على الجنس البشرى بأكمله من خلال الوسواس، لكن أنا قدرت من خلال خاضع إنِّي أخرَّجك من الحارة، وبعدها اتَّهموك بقتل ابن عمك وأصحابك برضو تحت ضغط منهم عشان يسيطروا عليك

بس للأسف أنا كنت أقوى منهم وقدرت أسيطر عليك من خلال الخير.

ثمَّ يبتسم ويكمل: متستغربش، دي الحقيقة، بعدها حبيبة كانت ضحية أبوها الدكتور شوقي لأن ابن محرز عشق جمالها وكان طلبها منه لكنُّه رفض وكان أقوى منه، وعشان يقدر ياخدها قتل شوقي وقدر يضحك عليها بسبب إبراهيم -الصديق المقرب لشوقي- اللي في الأساس ضحك عليه عشماوي وطمَّعهم في الفلوس ومدينة الجن والآثار، ودكتور كريم متقتلش هو انتحر نتيجة تأنيب ضميره وعدم قدرته على الاعتراف بحقيقة شوقي وابن محرز، في النِّهاية اتطمن أنا قدرت أحرَّر حبيبة منه وقدرت أحرق ابن محرز وهي دلوقتي في أمان.

- حسام مصدومًا: أنا مش مصدَّق إنّ كل ده الدكتور شوقي وراه.

- الشيخ يقاطعه: مش بس كده، أنت دورك كان مهم عشان ابن محرز كان عايز يتخلص منك بالحرق مع أهل العزبة وجابك من خلال فيروز وعشماوي المزيف وقدر يسحب منك قوة الوسواس، ومرضيش يتخلَّص منك جوا عشان كنت جواك، أنا اللي خرَّجتك برا المدينة لمَّل ظهرت ليك على هيئة حبيبة، سامحني عشان ضحكت عليك وقلت ليك إنه ابن محرز، وعشان كده كان لازم أظهر ليك.

- حسام يضحك: والله مش مصدق، طب أنت ساعدتني ليه؟

- الشيخ يبتسم: الخير ميتسألش السؤال ده، زي ما قلت لك زي ما فيه شر لازم يكون فيه خير، أنت رجعت مريض بس بدون تحكُّم من السحر والوسواس، خلي بالك من نفسك، لعنة الوسواس انتهت، عيش سعيد.

اختفى وسواس الخير من أمام عينَي حسام الذي ظلَّ جالسًا في حيرة كبيرة وأمسك رأسه غير مصدِّق لهذِه الأحداث والصراعات الغريبة التي عاش فيها،

ورفع يديه للسماء وبكى بألمٍ وقال:

-يارب سامحني على كل حاجه عملتها أغضبتك في يوم، أنت عالم بحالتي واللي حصل ليا، يارب سامحني، سامحني.

هكذا انتهى صراع حسام معَ الوسواس، من ناحيةٍ أخرى تمَّ القبض على إبراهيم فهمي المحام ووجِّهت له اتِّهامات عديدة منها التنقيبُ عن الآثار والتستُّر على مجرمٍ هارب، وحبيبة عَادَت مرة أخرى للحياة بعد أن نجح وسواس الخير في حرقِ ابن محرز وقبيلته والقضاء عليهم، وفتحت التحقيقات في قضية مقتل شوقي وقد أثبتَ الطبُّ الشرعي أنَّ كريم كان يعاني من مرضٍ نفسي بسبب سحر ابن محرز الذي سيطَر عليه ودفعه لقتل شوقي مما أدَّى لانتحاره ندمًا على مَا فَعل، وتمَّت السيطرة على عزبة عشماوي واكتشاف مدينة الجن الأثرية من قِبل السلطات المختصة، وحسام لم يُشف من الوسواس بل زادَ المرض كمَا حاول مرات عديدة الانتحار إلا أنَّه كان يتمُّ إنقاذه في اللحظاتِ الأخيرة.

(تخاريف كاتب)

أولًا: أحب أشكر كل شخص خد من وقته وقرأ الروايتين: حارة الوسواس وقيامة ابن محرز، ويارب أكون وفقت في إرسال العديد من الرسائل واللي هوضَّحها في النِّقاط القادمة البسيطة.

١-كان الهدف من فكرة الوسواس القهري هي توضح معاناة مرضى ذلك المرض اللعين، وقبل كتابة العمل جلست مع أشخاص وحكوا لي حكايتهم مع المرض ودفعِه لهم مراتٍ كثيرة للانتحار والتَّشكيك في كل شيء، وأنَّه يرسمُ لهم طريق الموت مما يدفعهم للعزلة والتقرب من الله خوفًا من الموت.

٢-بعد قراءة الكثير من الأعمال التي تناولت أدب الرعب لاحظت أنَّ معظمها يتبع مدارس مختلفة؛ لذلك اتَّجهت في العملين إلى الرعب النفسي نصف الواقعي، وهو أن أخلِق حدثًا خياليًا إلى حدٍ ما لكنَّه يصبحُ واقعيًا في نفس الوقت وتمَّ ذلك خلال أحداث حارة الوسواس والصراع في عزبة عشماوي واتفاق الجان ابن محرز مع شوقي وعشقه لابنته، وفعلًا يوجد الكثير من البنات يعشقها الجان ويقوم باختطافها ويظلُّ أهلها يبحثون عنها.

٣ ـ أخيرًا: ربط المرض النفسي بالسِّحر بعد عقد جلسات عديدة مع بعض الدجَّالين المختَصين في ذلك، وقد توصَّلت للكثِير من الحقائق؛ فهناك أسلوب يتبعُه بعضُ هؤلاء السَّحرة مميت وهو عمل أعمال سحرية للأشخاص بالجنون، وربط ذلك العمل بالنفس الشخصية ممَّا يدفَعُ ذلِك الشَّخص في النِّهاية للانتحار.

أشكركم جميعا على تحمُّلِكم، وأتمنَّى من الله التوفيق لكم في حياتكم.

إبراهيم فؤاد